خطوات ماكرة

عاليّة العثمان

دار العلوم
للنشر والتوزيع

خطوات ماكرة
بقلم/ عاليّة عبد العزيز العثمان
طبعة أولى: يناير 2018

التنسيق الداخلي: رفعت حسن سيد

تصميم الغلاف:
مهندس: وليد سري

ص. ب: 202 محمد فريد 11518

هاتف: 01144764000 ـ 10161160988

الموقع الإلكتروني: www. dareloloom. com
البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail. com
Facebook. com/dareloloom

Twiter: @dareloloom

دار العلوم للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
رقم الإيداع: 2557 / 2018
الترقيم الدولي: 978_977_380_555_5

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأى **دار العلوم للنشر والتوزيع**

يمنع نسخ أو استعمال أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافى والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من المؤلف

إهداء

إلى والديّ العزيزين

1

كل ما أراه أصبح بالألوان الحيادية، أبيض/ أسود، وقليل من تدرجات الرمادي.

هل سبب ذلك عدم وجود أشياء زاهية هنا؟ أم أصابني عمى في الألوان؟

الوحدة والضغط النفسي أصبحا لا يفارقانني، لايمكنني أن أرمش بعيني أو أشعر بأطرافي، أنا أعرف هذا الشعور، إنه الموت البطيء، يتسلل إلى جسدك بأبطأ ما عنده لكي يتسنى له تعذيبك حتى آخر خلية حية في جسمك.

الحشرات والقاذورات على كل شبرٍ من هذه الأرض، الجدران تضيق بي كل يوم أعيشه، مكان سيئ، فمهما حزرتم ما هو المكان ستكون دائمًا إجابتي: بل أسوأ.

2

12 سبتمبر 2005

الإثنين

غرب لندن، بريطانيا

قلت بحماس : " أنا حقًا لا أصدق أنني أخيرًا سأحصل على عمل "

قال مارك : "عليك أن تبلي حسنًا في هذه المقابلة "

" لا تقلقي . . سيكون كل شيء على ما يرام "

****

قال المسئول عن مقابلتي : "صباح الخير "

" صباح النور سيدي "

" كرستن هارمنسون؟ " قالها فور أن أعطيته أوراقي و شهاداتي

" هذا أنا سيدي "

" إذًا عمرك هو 20 سنة عاطلة و . . . جذابة "

ضحكت بخجل " نعم "

" وتريدين أن تصبحي . . أمينة صندوق في متجرنا؟ "

" نعم "

" هل كان طموحك أن تصبحي أمينة صندوق؟ "

" في الواقع . . . طمحت أن أكون أكثر من ذلك "

صمتُ برهة و أومأ لي المسئول أن أكمل

فتحت فمي قبل أن أنطق كلماتي " كنت أحلم أن أكون طبيبة "

ضحك المسئول ضحكة استهزاء فرمقته بنظرة

قال وهو يبتسم كأنني أبدو له كنُكتة " حسنًا؟ وما الذي ردعك؟ "

أجبتُ عن سؤاله : " بسبب الجامعة . . تكاليفها أكبر منا "

" أتفهم ذلك . . كرستن "

قلب المسئول أوراقي بكل استخفاف ثم بدأ بطرح أسئلته التي كانت تمامًا خارج إطار العمل

قال المسئول : " هل أنتِ سعيدة بحصولك على المال؟ "

قلت بتهجم : " وهل هناك أحد لا يسعد بحصوله على المال؟ "

" هل لديك مصدر دخل آخر؟ "

" كلا، ولكن زوجي هو الوحيد الذي يلبي احتياجاتي "

" إذن أنتِ متزوجة؟ وهل رزقتما بطفل؟ "

" لا نفكر بذلك حتى الآن لأننا تزوجنا حديثًا في منتصف الشهر الماضي "

سكت المسئول للحظة وكان يبدو كأنه يريد أن يتذكر أسئلة متطفلة أخرى، قاطعتُ هذا الصمت قائلة: " هل انتهينا من المقابلة؟ "

نظر المسئول إليَّ ثم قال: " في الواقع شركتنا . . أقصد متجرنا مشترك في حملة ضد المخدرات وهي حملة توعية للشباب ضد المخدرات، فما رأيك نحو هذا الموضوع؟ "

قلت له وأنا أتصنع الاكتراث: " شرف لي أن أكون مشاركة معكم "

" ولدينا صندوق للتبرع من أجل . . . " قاطعت المسئول وقلت له : " عندما أحصل على وظيفة هنا سأتبرع بالطبع "

لاحظ المسئول تململي وقال: " كما تشائين، وسنتصل بك حالما قررنا قبولك أم لا "

" أشكرك، أراك لاحقًا "

غادرت المكان وذهبت إلى شقتي، كان مارك لا يزال هناك ولم يذهب إلى عمله .

قال مارك : " كيف جرى كل شيء؟ "

" كان كل شيء على ما يرام عدا أسئلته التي ليس لها داعٍ "

ابتسم قائلاً : " كيف؟ "

قلت : " لا عليك، لِمَ لَم تذهب إلى العمل اليوم؟ "

" لقد تمَ تبديلي إلى مناوبة ليلية؛ لذا أعتقد أنني سأمضي نهاري في الراحة "

" حسنًا . . سأخرج أنا لأشم الهواء "

ارتديت معطفي وخرجت أتمشى، كنت أرى صديقتي المقربة لوسي تذهب إلى نفس المتجر الذي قدمت عملاً لديه، لا أعلم لِمَ تذهب إلى هذا الفرع بينما هُناك أقرب منه بجانب شقتها .

3

19 سبتمبر2005

الإثنين

كان قد مر أسبوع منذ أن أجريت مقابلتي، ولم يتصل بي أحد، أثار هذا توتري فقررت أن أذهب إلى المتجر وأتأكد من الأمر.

****

قلت وأنا أفتح الباب: "مرحبًا"

دخلت غرفة المسئول ورأيت فتاة من الواضح أنها في العقد الثاني من عمرها. أظن أنها تجري مقابلة للحصول على عمل.

"أنا آسفة إن قاطعتكما في.."

قال المسئول: "مرحبًا كرستن"، ثم أكمل: "لابأس.. يمكنك الانتظار خارجًا ريثما ننتهي"

"أنا فقط أريد أن أعرف هل تم قبولي أم لا" بررت.

قال المسئول وهو لا ينظر في عيني: "أرجوكِ.. خارجًا"

****

رجعت إلى الشقة بعد أن عرفت النتيجة، كان كل من أمي وأبي ومارك هناك، احتضنت أمي وأبي بحرارة ثم جلسا وأقترحت عليهم شرب الشاي، فأحضرته إليهم وكانوا ينظرون إلي بسعادة قطعت أمي تبادل الابتسامات وقالت: " سمعت أنك ستحصلين على عمل! "

تراجعت ابتسامتي وعاد وجهي كما كان وقلت: "في الواقع . . . "

نظرت إلى الأرض ثم إليهم وأكملت: "لم يقبلوني"

طأطأ الجميع رءوسهم

قالت أمي: "لا بأس ابنتي . . ستحصلين على واحدة أفضل منها"

قال أبي: "الفرص في الحياة لاتنتهي"

وكان مارك يهز رأسه إيجابًا مع كل تشجيعة من والديَّ

قلت: "أشكركم على الدعم، سأقدم على واحدة أخرى إن سنحت لي الفرصة" وقد اصطنعت السعادة من أجل تغيير هذا الجو الكدر.

4

كل يوم أشعر بأنني لن أستطيع الاستمرار في حياتي، لماذا أشعر بندم مارك حين يعطيني جزءاً من مدخوله الشهري، أشعر كأنه يقول لماذا قد طلبت كرستن كزوجة لي، لا أعرف بالضبط ما شعوره تجاهي، لقد تأخر هذه المرة في تسليم جزئي من راتبه هذا وأعطاني نصفه فقط.

ماذا أقول له؟ وكيف أتصرف؟ أنا أعمل جاهدة في ادخار أكبر مبلغ يمكنني ادخاره، لا أريد أن أطلب من والديّ المال، قد يشعران أن ابنتهما في نقص شديد.

ناديته لجهلي لمكانه: "مارك؟"

"أنا هنا" كان صوته قادماً من الصالة

"مارك، أريد أن أكلمك في أمر ما"

"ما هو؟"

"مارك لقد أعطيتني 40 باوندًا بدلاً من 80 باوندًا التي.."

قاطعني مارك وقال: "نعم.. أنا أعرف ذلك" كلمات كالثلج خرجت منه

تعجبت من رد فعله البارد وقلت له بتقطع: "هذا النصف.. وقد اعتدت أن.."

قاطعني مرة أخرى: "أنا أتقاضى أجراً قليلا مقارنة بعملي المرهق يا كرستن! أعمل 10 ساعات في المساء! لا أستطيع أن آخذ راحة، ولا أي نوع من أنواع الترفيه!"

صمت مارك برهة ثم قال: "لا وسيلة للدفاع عن النفس ولاحتى عصا، أنا محاط بالمخاطر في أي مكان وأي زمان!"

إنه يبالغ! ربما من مشاهداته الكثيرة لأفلام الأكشن والجريمة! إنه مجرد حارس ليلي وإنه لا يعمل وحيداً.

قال مارك: "وفي النهاية أنتِ تأخذين نصف حقي وتعبي ودم قلبي"

فعلاً أحسست بأنني عالة، ثقل كبير على كتفيه، لم يكتف مارك بذلك فحسب بل أخذ يقدم لي أسبابًا تجعله يقتنع بأنه أقنعني ولَكنني لم أستطع أن أسمع ما قال، غادرت المكان دون أن أنبس ببنت شفة.

***

دخلت في فترة اكتئاب، ليس بسبب المال، بل بسبب أنني.. بصراحة لا أعرف.

ملابسي تهالكت وأصبحت بالية، إيجار الشقة أخذ يتزايد مع غلاء المعيشة، ضاقت بي الحياة فعلاً، لم أكلم مارك بعد هذا النقاش لا أريد أن أصف طبعه ولكنى فعلاً لا أحب الشعور بالنقص.

5

1 ديسمبر 2005

الخميس

سقط الثلج بغزارة ليلة أمس، خرجت لأشتري ملابس لي، ولكن قبل خروجي أشفق مارك عليَّ وقرر أن يعطيني جزئي، رفضته بشدة قائلةً: "لا لا.. لن آخذه" أصر مارك وأصررت على ألا آخذه وأنا أخبره بأنني أعي ما أقول.

فور أن خرجت من المنزل رأيت صديقة الطفولة لوسي.. لقد كانت سعيدة جدًا عندما رأتني على عكس آخر مرة عندما رأيتها تدخل المتجر الذي كنت سأعمل لديه، لم أتكلم معها منذ أشهر معدودة، والآن هي تقترب مني

قالت لوسي متفائلة: "أوه.. كرستن! لم أركِ منذ وقتٍ طويل"

سألتها وأنا أبتسم: "كيف حالك لوسي؟"

ابتسمت على اتساع وجهها قائلة: "بخير" ثم أكملت: "اشتقتُ إليك كثيرًا"

ضحكتُ بخجل وقلت: "أنا أيضًا"

قالت لوسي : "وكم اشتقتُ إلى زياراتك لي يا كرستن"

قلت لها : "سأزورك بالطبع في وقت قريب"

"لِمَ في وقتٍ قريب؟ لِمَ ليس الآن؟"

قالت : "حسنًا . . " استغربتُ من حماسها

"إذًا هيا"

***

حالما دخلت شقتها فوجئت تمامًا، شقة عصرية ذات مميزات حديثة بمعنى الكلمة، لوحة كبيرة ملونة على الجدار تضيف طابعًا فنيًا، تلفاز 60 بوصة، سجادة وأرائك جديدة، من أين لها كل هذا المال؟! نظرت إليها ودققت في ملامحها . . إنها تضع مساحيق التجميل! وقد صبغت شعرها بالأسود وكأنني لم أرها قبل قليل!

قالت لوسي : "تفضلي كرستن" وكأنها انتبهت إلى أنني أحدق إليها أخذنا نتبادل الأحاديث وقد عرفت أنها ستشتري سيارة جديدة غالية الثمن، كنت أريد أن أعرف وبشدة من أين لها كل هذا المال، لكن لا أريدها أن تشعر بأنني أحسدها على ما تملك، كل ما أعرفه أنها تعمل جرسونة في مقهى.

سألتني لوسي : "هل تعرفين في أي فصل نحن؟" وقد استغربتُ من

سؤالها الذي ليس له أي معنى

قلت وفي وجهي علامة استفهام : "نعم، إنه الشتاء"

قالت لوسي بكل اهتمام : "فصل الشتاء وأنت ترتدين هذه البلوزة الخفيفة؟! الثلج يتساقط . . ألا تشعرين بالبرد؟!"

"بلى، كنت أريد الذهاب لأشتري ملابس شتوية قبل أن أقابلك"

"لنذهب معًا إذًا . . ولكن لنشرب القهوة الساخنة قبل ذلك"

"حسنا، موافقة"

انتظرت هنا ريثما تأتي بالقهوة، كانت عيناي تجوبان هنا وهناك، العيش هنا بمثابة العيش في الجنة، راودتني جميع أفكار الحصول على المال، هل سرقت؟ هل اختلست أموالاً؟ ولكن من المستحيل أن تفعل ذلك فهي مخلصة في ديانتها .

جاءت وفي يدها كوبان من القهوة ثم أحضرت شالاً أسوداً مزينًا بنقوش حمراء وذهبية وقد غطتني به لأشعر بالدفء .

جلست لوسي وارتشفت من القهوة ثم قالت : "سمعتُ أنك قدمتِ طلبًا للعمل" وارتشفت من القهوة مرة أخرى

مهلا . . كيف عَرِفَت؟

قلت بتقطع : "نعم . . ولكن . . . " ثم أكملت : "رفضوني"

قالت وقد اتضح أنها تتصنع الدهشة : "ماذا؟ رفضوك؟ أيعقل هذا؟ ! "

انزعجت من تصنعها ولكن أجبتها بأسى : "نعم"

"يالغبائهم! هل هناك أحد يرفض فتاة مثل كرستن! "

صَمتت لوسي ثم أردَفَت : "لا بأس عزيزتي . . الفرص تأتي وتذهب"

تصنعت الابتسامة، وبمناسبة أننا نتحدث عن العمل، اعتقدت أن هذه اللحظة المناسبة لأشبع فضولي وأسألها من أين لها كل هذا المال، بدأت وسألتها : "ماذا عنك؟ أين تعملين؟ "

قالت لوسي : "اعتقدت أنك تعرفين ذلك، أنا جرسونة"

قلت لها : "كنت أظن أنه تم ترقيتك أو نقلك لمطعم أرقى"

قالت : "لا . . أنا كما أنا منذ أن عملت" صَمتت لوسي برهة ثم ضحكت بطريقة مزعجة : "أوه . . هاهاها" ثم أردفت : "عرفت ما تقصدينه" ، وغمزت لي وفي وجهي تعابير غير مفهومة

بررت لها : "أنا لا أقصد شيئًا"

" أنت تريدين أن تعرفي من أين لي كل هذا وكيف استطعت أن أعيد تأثيثَ شقتي بطريقة جذابة وكيف استطعت ان أفكر بشراء سيارة جديدة وفخمة و . . و . . "

كالعادة . . لوسي والتباهي قصة حب لا تنتهي، ولكن بالفعل كيف عَرفت أنني أُريد أن أعرف؟

أكملت لوسي : " . . . وجهاز المحمول الخاص بي آخر إصدار و . . . "

قاطعتها منزعجة : "نعم نعم . . فهمت فهمت"

"آسفة؟ في ماذا كنا نتحدث؟ أقصد ما هو سؤالك؟ "

قلبت عينيَّ ثم قلت : "أنا لم أسأل شيئًا ولكن كنت أتساءل كيف استطعتِ توفير مبلغ لشراء كل ما تملكين؟ "

ضَحكَت لوسي قائلة : "أوه . . صحيح" ثم همست : "ولكن أريد أن تبقيَ هذا سرًا"

سر؟ عرفتُ من البداية أنها سارقة، قلت لها مؤكدةً : "بالطبع سيبقى سرًّا . . أعدك"

أجابتني : "حسنًا" صَمتت لوسي قليلا ثم قالت : "أنا أهرب الهيروين*" ضحكت لوسي بحماس

يا إلهي! وكأن صدمة كهربائية سرت في جسدي، أحسست بموجة من الصدمة تنتقل فأخذ قلبي يدق بسرعة وعيناي اتسعتا، وأحسست بحلقي يجف وأنا مصدومة: "هيروين!"

قالت: "نعم!" وبدأت لوسي ترتجف من الحماس ثم أكملت: "لقد قمت بذلك أربع مرات خلال الثلاثة أشهر الماضية، بالطبع الشعور بالخوف يراودني في كل نَفَس أتنفسه ولكن هذا أمر طبيعي وقد اعتدت الشعور بالخوف"

لم يطرف لي جفن.

استرسلت لوسي في الحديث: "كما أنني أحصل على المال بأسرع طريقة، وإجازة على ساحل البحر في أفضل الفنادق والمنتجعات إضافة إلى تذاكر طيران على درجة رجال الأعمال"

أغمضت عينيَّ وفتحتهما وهززت رأسي آملةً أن يكون ذلك كابوسًا وسأستيقظ منه، صديقتي المقربة.. صديقة الطفولة.. لوسي.. تهرب الهيروين!

نظرت إلى الأرض ثم نظرت إليها: "أكاد لا أصدق!" ثم أمعنت النظر في عينيها واستطردت: "هل تحاولين إقناعي بأنك قد هربتِ الهيروين أربع مرات دون أن يشك أحد بك؟"

*الهيروين هو مخدر قوي للجهاز العصبي المركزي ويُحصل عليه من تفاعل كيميائي مع المورفين المستخرج من نبتة الخشخاش المنوم.

قالت : "في الواقع . . ستشعرين أن الجميع يراقبونك، ولكن في الحقيقة كل شيء يسير على ما يرام وبشكل طبيعي، وقد هرّبت إلى البرازيل وكولومبيا وإندونيسيا وجامايكا "

قلت : "إندونيسيا! هل أنتِ مجنونة؟ عقوبة تهريب الممنوعات في إندونيسيا الإعدام شنقًا! "

قالت وهي غير مباليةً : "أوه! حقًا؟ "

وضعت يدي على رأسي أريد أن أستوعب حجم الكارثة التي تتكلم أمامي ثم قلت : "أنتِ تعرضين نفسك لخطر لا مفر منه! أشك أنك في كامل قواك العقلية "

رأيت علامات الذهول تعتليها وقالت : "هدئي من روعك يا كرستن، لم أتوقع منك رد فعل كهذا! "

قلت لها : "إذًا أي نوع من ردود الفعل توقعته؟ أن أشجعك على فعل شنيع كهذا وأن أشارك في تهريب الهيروين فيَ رحلة أخرى؟ "

قالت : "إمم . . . نعم"

نظرت إليها بكل غباء أريدها أن تدرك ما قالته للتو وقلت : "سأوافق في حالة واحدة فقط "

تحمست لوسي لسماع الحالة، واصلت كلامي : "عندما أصبح متخلفة عقليًا وأرغب فى الانتحار "

تراجع حماس لوسي وأكملت أنا : " كما أن وضعي المادي جيد جدًا ولا أحتاج إلى مال الممنوعات القذر "

قالت : " هل أنتِ واثقة؟ " ونظرت إليَّ بنظرة تهكم

قلت بكل ثقة : " نعم "

قالت : " ألا تريدين التفكير فى الأمر؟ "

أجبت بكل صرامة : " لا "

قالت : " عشرون ألف باوند لكيلوجرامين فقط ! "

شهقتُ قائلة : " عشرون ألف باوند ! "

لاحظت لوسي اهتمامي أخيرًا فاستمرت في طرح مميزات رحلة التهريب : " بالإضافة إلى عطلة في منتجع أشبه بالجنة "

قلت : " أشبه بالجنة ! " وكأنه تم تنويمي مغناطيسيًا

استغلت لوسي الفرصة وتابعت : " ومصروف جيب لتستمتعي بكل تفاصيل الرحلة ، بل حتى لن تشعري بأنها رحلة تهريب . . ستشعرين بأنك في عطلة بعيدًا عن أصداء وضوضاء العالم "

هززت رأسي بسرعة آملةً أن تتلاشي هذه الأفكار الشيطانية وقلت بصرامة : " لا . . هذه كلمتي الأخيرة "

6

29 ديسمبر 2005

الخميس

نظرت إلى خزانة ملابسي، أحذيتي، طعامي، شرابي، لم أشأ أن يخالجني هذا الشعور، الشعور بالنقص، لا أملك شيئًا أتباهى به مثل لوسي.

ولكن مهما شاءت الأقدار لن أفعل ما دعتني لوسي إليه.

قطع حبل أفكاري صوت الطرق الذي على الباب، نظرت من خلال العين السحرية إلى هوية الطارق، أوه يا إلهي.. هذا ليس وقته الآن! إنه المؤجر، ماذا أفعل؟ هل أقفز من النافذة أم ماذا؟ إذا أعطيته الإيجار الآن سيتبقى لي مبلغ ضئيل من المال.

علا الطرق مرة أخرى وارتفع صوته: "هيا سيدة هارمنسون أنا أعرف أنك هنا" قالها بنبرة صوته المزعجة

استسلمت للأمر الواقع وأعطيته الإيجار.

7

حاولت أن أقنع نفسي بأن المال ليس كل شيء وبالتأكيد أنا أفضل من غيري في العديد من الأشياء منها . . . السعا . . أقصد الأمل فى السعادة

بعد قليل سمعت طرقًا آخرَ على الباب . . من عساه أن يكون؟

نظرت من خلال العين السحرية . . لوسي؟ لِمَ لوسي هنا؟ ماذا تريد؟ التفتُ إلى المكان ورأيته مكانًا مبعثرًا غير مرتب، لقد فاجأتني بزيارتها! ماذا أفعل؟ أنا أرتدي ملابس . . بشعة، بالطبع ستسخر مني وتقنعني بتهريب ذلك الشيء المُقيت، أخاف أن أتنوم مغناطيسيًّا مرة أخرى .

نادت لوسي من خلف الباب : " كرستن . . هل أنت هنا؟ " . . فتحت الباب دون رد ولكن سرعان ما رحبتُ بها : " أهلاً لوسي . . تفضلي بالدخول " . . استقبلتها بابتسامة واسعة

قالت : " أشكرك كرستن، أنا لم أتعمد إزعاجك ولكن يجب أن أقول لك هذا الآن "

أومأت لها بالدخول وقلت : " حسنًا " ، ثم سألتها : " قهوة؟ "

" لا . . شكرًا "

" حسنًا . . . ؟ "

" أوه . . نعم، سأذهب في مهمة سرية في عطلة رأس السنة "

قلت في حيرة : " مهمة سرية؟ "

" نعم . . أنا أقصد تهريب الهيروين مرة أخرى " . . ضَحِكت لوسي ثم قالت : " هل تظنين أنني سأتمكن من التجسس على قاعدة جوية أو سرقة لوحة الموناليزا؟ "

تداركتُ أمر تهريب الهيروين ثم أكملت لوسي : " و . . لدي تذكرتان اثنتان "

قلت لـ " لوسي " : " هل تلمحين إلى شيء ما؟ "

قالت : " كرستن، انظري إلى حالك " ثم وقفت وأردفت : " انظري إلى نفسك، انظري إلى هذا المكان . . أَلَم تحلمي بحياة مستقرة؟ "

أجبت لوسي : " الاستقرار لن يحدث إذا تعاملت مع الهيروين كمصدر دخل "

قالت : " بل سيحدث . . وهل تظنين أنك مستقرة حاليًا؟ وكأنكِ لم تتهربي من دفع إيجار الشقة كما حدث قبل قليل "

نظرت إليها وأدركت أنها كانت هنا عندما جاء المؤجر

أكملت لوسي : "ألا تريدين العيش في شقة فخمة كشقتي؟ أو حتى شراء منزل فخم؟ ألا تريدين أن تاكلي طعامًا غير معلب؟ ألا تريدين أن تشاهدي أطفالك يلعبون في حديقة المنزل بينما تزرعين الأزهار في الحديقة . . "

مهلاً مهلاً هل أُهرب الممنوعات من أجل زراعة الأزهار في الحديقة؟ !

قلت : "في الواقع يا لوسي، الصبر خارج السجن أفضل من الصبر داخله "

تنهدت لوسي وقالت : "تُفكرين بالسجن فقط . . الأفكار السلبية تقودنا دائمًا إلى حوادث سلبية "

هذه المجنونة قالت شيئًا مفيدًا في حياتها لأول مرة .

شجعتني لوسي قائلة : "هيا كرستن . . ستتخلصين من جميع همومك بمجرد عبور الجمارك "

قلت وتملكني الشك : "مهلاً، لِمَ أنت عازمةً على أن تأخذيني معك؟ "

قالت : "لكِ الحق في السؤال عن هذا كرستن، لا تنسي أننا أصدقاء

الطفولة وأنا أشعر بالأسى تجاهك، لا أريد أن أراك تتعذبين أمامي ولا أفعل شيئًا" وحدقت لوسي في عينيَّ

بدون أي تفكير ومن نظراتها المتوسلة قلت: "حسنًا.. سأفكر"

قالت لوسي بكل حماس: "حقاً؟! سنصبح أثرياء يا كرستن.. أثرياء!"

"قلت سأفكر"

"حسنًا.. ولكن أرجوك فكري بسرعة فالوقت يكاد أن ينفد!"

غادرت لوسي وكلماتها لم تغادر معها، بل ظلت تدور في المكان محدثة ضجة عارمة في رأسي.

8

31 ديسمبر 2005

السبت

نمت بصعوبة ليلة أمس، وكان يجب أن أعطي لوسي جوابًا عن أمر التهريب، كانت مشاعري متضاربة، إذا قلت "لا" فستفوتني عشرون ألف باوند! وسأعيش عذابًا لبقية حياتي، ولكن إذا قلت "نعم" فهناك احتمالان: أن أنجح أو أخسر ولا يوجد حل وسط.

سمعتُ طرقًا على الباب فإذا بها لوسي وقد فتحت لها وجلست وكانت صامتة طوال الوقت إلى أن وضعت أمامها كوبًا من القهوة وتبادلنا الابتسامات.

كانت زيارتها مريبة فهي لم تكن متحمسة – كعادتها – للقائي، بل كانت ملامحها عادية جدًا لا تبشر بخير ولا تتنبأ بشر.

سألت لوسي لأغير النظرات غير المألوفة: "كيف حالك لوسي؟"

أجابتني لوسي: "بخير"

أومأت رأسي وابتسمت وساد الصمت مرة أخرى.

غيرت لوسي الجو قائلة: "نعم أم لا؟"

فوجئت من سؤالها المباشر وكانت تقولها بكل صرامة . . احتجت الوقت لأفكر بإجابتي فقد عرفت ما تقصده ولكني اصطنعت الجهل قائلةً : " ماذا؟عن ماذا؟ "

قالت لوسي متوسلة وقد رجعت إلى طبيعتها " الهيروين كرستن . . الهيروين ! "

قلت لها ببطء : " في الواقع يا لوسي . . "

عدلت لوسي من جلستها قاصدة التركيز في كلامي

أكملت وأنا أقرص يدي من شدة التوتر : " أنا أحتاج المزيد من الوقت لأفكر . . . "

قالت لوسي : " تفكرين بماذا؟ الأمر سهل . . أنت فقط . . . . " . . قاطعتها بقوة : " أفكر بماذا؟ الأمر ممنوع قانونيا وقَد أقضي حياتي بأكلمها في السجن ! ماذا إذا سُجنت في بلد لا أعرفه؟ لغة لا أفقهُها؟ ثقافة أجهلها؟ "

قالت لوسي بكل لباقة مصطنعة : " هل تسمحين لي أن أعرفك على خطة الرحلة أولاً؟ " قلت : " نعم أرجوك ! "

قالت : " سنذهب إلى جامايكا أولاً ونستلم البضاعة من هناك "

قاطعت لوسي : " مهلاً مهلاً . . بضاعة؟ أي بضاعة؟ "

" نحن لن نسمي الهيروين هيروينًا ! بل نسميه بضاعة لكي لا نثير الشك ! "

" حسنًا . . أكملي "

" سنتسلم البضاعة من جامايكا ونعبر الجمارك بأمان ثم إلى الإكوادور نعبر الجمارك بأمان أيضًا وسوف نسلم الشركة بضاعتهم هناك . . فقط "

نظرت إلى أبعد مدى وحدقت به محاولةً التفكير بالأمر وكنت أعيد ما قالته لوسي للتو كشريط صوتي .

انتظرت لوسي مني إجابة وقالت : " إذًا . . . ؟ "

" أنا فعلاً لا أعرف ! "

قالت لوسي : " كرستن . . . عزيزتي انظري إليّ " ، ونظرت إليها ثم واصلت : " لقد قمت بالتهريب في أكثر البلدان تشددًا بالقانون ضد الممنوعات وها أنا ما زلت هنا ! لم أدخل السجن ولا حتى مرة واحدة ! "

قلت لها بإرهاق شديد : " لا أعرف لوسي . أنا حقًا لا أعرف "

تنهدت لوسي ثم أكملت : " لن نُسمي هذه الرحلة رحلة تهريب . . بل سنسميها عطلة راحة وستشعرين فعلاً بالراحة ، حتى ستنسين أمر

الهيروين " ، ثم ضَحكت لوسي وابتسمت في المقابل ثم ربتت على كتفي وأخبرتني : " نستمتع معًا . . فعلا سنستمع ، ولا أحد سيعرف بالأمر . . أعدك ولا حتى زوجك مارك "

تجمد عقلي فجأة ثم تذكرت عائلتي ، كيف قد أنسى من تعب في تربيتي وبنائي؟ أمي وأبي سيخيب أملهما إذ عرفا أنني سأتعامل فى هذه الممنوعات! ماذا لو حدثت أسوأ كوابيسي وعلما من خلال التلفاز والجرائد! ماذا لو . . ماذا لو . . سأصبح صغيرة جدًا أمامهما إن أصبح ذلك حقيقة!

لاحظت لوسي تراجع ابتسامتي ثم سألتني عن حالتي فأجبتها الصراحة : " ماذا لو عرفت أمي وأبي أنني سأهرب الممنوعات؟ "

قالت : "من قال إنهما سيعرفان؟ من قال أصلاً إنهم سوف يقبضون علينا بتهمة؟ أفكارك تقودك لقلقك كرستن . . فكري بإيجابية . . فكري بماذا ستفعلين بالعشرين ألف باوند؟ "

طريقة كلام وأسلوب لوسي مقنعان تمامًا ولكن ترددي وخوفي المبالغ فيه جعلا هذا النقاش مملاً وطويلاً وقد لاحظت علامات التململ في ملامح لوسي ، إنه ليس بشيء سهل! فلا تلوميني على المبالغة في التفكير!

جمعت لوسي أمتعتها ثم همّت بالمغادرة وهي تقول : "أظن هكذا لن

نحصل على أي نتيجة! "

توجهت لوسي إلى الباب ولكنى استوقفتها فجأة: "مهلاً لوسي! "

وقفت لوسي في مكانها ثم التفتت ليقع ناظرها عليّ، وقلت لها باستسلام: "حسنًا.. سأذهب.. أنا موافقة"

ضحكت لوسي مرة أخرى وعادت ألوان وجهها إليها ثم قالت: "من أفضل القرارات التي اتخذتِها في حياتك.. وأنا لن أتجشم عناء البحث عن رفيقة في الرحلة! "

قلت لها ببعض الخوف: "ربما ستكون الأسوأ يا لوسي.. من يعلم؟ "

"هيا كرستن! فكري ولو مرة واحدة بإيجابية! ولكن الآن لا يهم فستبدأ السنة الجديدة بأفضل عطلة ستقضينها في حياتك! "

بدت لوسي متحمسة ومندفعة للأمر بطريقة مبالغ فيها، لقد تحمست في المقابل فنشاطها غير العادي ينعكس على الآخرين أيضًا!

غادرت لوسي وتحمست لترتيب حقيبة سفري واتصلت بوالديَّ لأبلغهما بأنني سأسافر مع صديقتي لوسي وقد أبلغت مارك أيضًا، بعد ذلك جاءت أصعب فترة في اليوم.. النوم! كانت ليلة صعبة جدًا، بالكاد استطعت النوم! فلا أعرف ما سيخبئه لي الغد من مفاجآت إما أن تكون في صالحي أو في صالح القانون.

9

1 يناير 2006

الأحد

صباح رأس سنة كئيب، فور أن رأيت حقائبي جاهزة أمام باب الغرفة تذكرت أن هناك رحلة طويلة جداً.

استيقظت وجهزت نفسي تمامًا لرحلة "عطلة الراحة" كما تريدني لوسي أن أسميها، توجهت إلى الصالة وارتميت على الأريكة لأنتظر لوسي لتأتي إلى شقتي، كان هناك مجموعة من الرسائل على الطاولة فأشغلت نفسي بقراءتها ريثما تأتي لوسي.

فواتير، فواتير، فواتير، ولكن بعد انتهاء الرحلة سأتخلص من جميع همومي المادية وسأبدأ بالتخلص من باقي هموم الحياة، أحتاج إلى المال من أجل الحصول على سعادتي. مُخطئ من قال إن المال ليس السبيل الوحيد للسعادة، بل امتلاكك المال هو السعادة وستظل السعادة الحقيقية من وجهة نظري وأنا واثقة من أن معظم الناس بل ربما أكثرهم يؤمنون بأن المال هو كل شيء يتعلق بالسعادة ومن يقول عكس ذلك فهو إنسان مقتدر ماديًا.

التقطت رسالة مكتوب عليها : إلى كرستن هارمنسون . وأخيراً رسالة لا تطلب المال فتحت الرسالة وقرأتها بسرعة . . ويا ليتني لم أقرأها ! وكان هذا مضمونها

إلى كرستن العزيزة . . .

كنت أريد أن أكون معك عند مغادرتك بريطانيا ولكن لأوقات عملي الصعبة لن أستطيع أن أكون معك ولا حتى في عطلة رأس السنة ، آمل أن تستمتعي هناك وأن تقضي وقتًا ممتعًا هناك .

لقد تركت لك مبلغًا من المال ، لربما تحتاجينه في المستقبل لشيء أو لآخر .

إلى اللقاء . . يا مهربة المخدرات .

مارك هارمنسون

31 ديسمبر 2005

***

يا مهربة المخدرات ! شعرت بخدر يحتضن جسمي ! الأسئلة تكاد تفجر رأسي ! يا إلهي ! لقد انتهيت تمامًا ! لقد عرف بذلك وإن تم اعتقالي

سأكون حقيرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى! حسنًا حسنًا لقد عرف بذلك. . لماذا لم ينصحني؟ لماذا لم يوقفني؟ أنا في ورطة إن صح التعبير، آمل فقط ألا يخبر أمي وأبي بذلك، يجب أن أهدأ، يجب. . . أن . . . أهدأ، علمتني لوسي أن أفكر بطريقة إيجابية وهذا ماسأفعله الآن، عندما يسير كل شيء على ما يرام سأعيش في سعادة أبدية ورحلتي هذه ستكون شجاعة كبيرة أقوم بها وأعتز بها لـ. . . لنفسي؟

10

جاءت لوسي إلى شقتي، وقد كانت متحمسة لرحلة اليوم بشكل مبالغ به، وأنا كنت سأصبح مثلها لولا رسالة مارك المريبة، كنت أتوق لأخبر لوسي عن هذه الرسالة فاستعجلت التحية وجعلتها تتفضل لتجلس.

قلت لـ "لوسي" بقلق: "لوسي.. أنا في شبه ورطة"

بدت لوسي أكثر قلقًا: "شبه ورطة؟ بماذا تورطتِ؟!"

قلت بتردد: "إنه.. إنه مارك!"

"ماذا بـ "مارك"؟!"

"لقد علم.. علم بكل شيء!"

تنهدت لوسي وكأن شيئًا طبيعيًا قد حدث وقالت: "أوه يا إلهي.. لقد خفت كثيرًا"

"لوسي.. هل سمعتِ ما قلت؟ مارك علم.. علم أنني سأهرب الهيروين!"

قالت لوسي ببرود: "وإن يكن؟ مارك ليس شرطيًّا!"

في نفس اللحظة فُتح باب غرفة نوم مارك، واتجه إلينا.

قال مارك : "صباح الخير"

تجمدت أطرافي من رؤية نظرات مارك المريبة وكأنها مقصودة لي

قلت لمارك بصوت مرتجف : "كنت أظن أنك الآن في العمل ! "

ضحك مارك بتصنع قائلاً : "لا ، اليوم عطلة رأس السنة يا كرستن" ، ثم أوضح : "لا عمل اليوم"

قالت لوسي : "هذا جيد لكي يتسنى لك توديع كرستن إلى الأسبوع المقبل"

قال مارك : "بالطبع ، وستكون الاتصالات بيننا . . أليس كذلك كرستن؟ "

كنت لا أستوعب الأمر فسرحت أفكر في أسوأ الاحتمالات يمكن أن تحدث لي في رحلتي

كرر مارك سؤاله عندما لم يسمع إجابة مني : "أليس كذلك كرستن؟ "

نظرت إليه وكأنني نسيت الحروف والكلمات وأحاول أن أتذكرها ولكن بلا فائدة

أجابت عني لوسي بابتسامة واسعة : "بالطبع ستفعل"

خرجت الكلمات من فمي بصعوبة بالغة لأجذب انتباه لوسي : " أ . . . أ . . . أ . . . لو . . لوسي؟ "

قالتها ببشاشة : " تفضلي يا كرستن "

وقفت على قدميَّ وأخذت كل الأغراض التي على الطاولة أمامي ووضعتها في حقيبة يدي، أخذت كل شيء عدا الرسائل التي فتحتها قبل قليل ورسالة مارك التي تحتوي على المال، نعم تركت المال له، سأنجح في رحلة التهريب هذه وسنعرف من سيعطي المال لمن .

قالت لوسي وفي وجهها علامات الاستغراب : "هل تريدين المغادرة الآن؟ "

أومأت برأسي مشيرةً بالإيجاب وأحضرت حقيبة سفري وارتديت معطفي وتوجهت نحو الباب بسرعة، رأتني لوسي وتوجهت خلفي مباشرةً .

قال مارك بنبرة حزن قاصداً المزاح : "يبدو أنني لن أحصل على عناق وداع "

تجاهلت مارك تمامًا، لا أستطيع أن أصف شعوري حينها، سمعت لوسي تقول : " لا بأس . . إنها مستعجلة على الرحلة "

قال مارك : " ستكون أسوأ رحلة في حياتها، أنا واثق "

تغيرت ملامح وجهي حينها ثم التفتُّ إلى مارك منتظرة توضيحًا لعبارته الاخيرة.

قالت لوسي بالنيابة عني: "كيف؟"

قال: "بالطبع ستكون كذلك... أنا لن أرافقها.. الرحلة ستكون أقل من المستوى العادي" ثم ضحك

تصنعت لوسي الضحك في المقابل، بينما أنا فتحت الباب وتقدمت إلى الأمام وتابعت سيري قبل أن أسمع لوسي تودع مارك نيابة عن تجاهلي لمارك طوال الوقت، أغلقت لوسي الباب واستطعت تمييز صوت هرولة لوسي على طول الممر محاولة اللحاق بي، اتجهت إلى المصعد وركبناه وقبل ذلك سألتني لوسي عن حالتي ولِمَ أتصرف مع مارك بهذه الطريقة الفظة، لم أتفوه بكلمة ثُم أصرتَ لوسي أن تعرف لِمَ قد بالغت في رد فعلي.

قلت لها بأسلوب تهديدي: "لوسي... إذا كنتِ تريدينني أن أكمل معك هذه المهمة لا تسأليني عن مارك"

قالت: "لماذا؟ ما الأمر؟ هل هو بسبب تلك الرسالة التافهة؟!"

"لا تسببي لي المزيد من التوتر يا لوسي!"

"كرستن.. ما بك؟ لماذا تتصرفين بغرابة؟"

تجاهلتها، اكتفيت بتغيير ملامح وجهي، شعرت بـأنني غريبـة أطـوار بحق ولكن أنا أستطيع أن أخطو خطوات دون إرادتي، وهذه الخطوات قد تدفعني الثمن غاليًا.

ذهبنا إلى سيارة لوسي وحبس دموعي لفترة أطول سيصـيبني بـالجنون ولكن في نفس الوقت لا أريد أن أعكر صـفو الرحلـة بعـد مـا حـدث الآن، لذا مع انشـغال لوسـي بوضـع حقائبنـا في صـندوق السـيارة، جففت دموعي بمنديل مجعد كان في جيب معطفي منذ فترة، صعدنا إلى السيارة قبل أن تلتقط لوسي معطفها الجلـدي مـن الصـندوق وتلبسـه والتقطت أيضا قبعة فرو تبـدو كالقبـة، كـان مظهرهـا جـذابًا مقارنـة برحلة إلى جامايكا، أما أنا فدائمًا أتخيل نفسي في مكانها.

نـادتني لوسـي بهـدف شـد الانتبـاه: "كرسـتن"، ثـم قالت: "لقـد استنتجت ما حدث"

التفتُّ إليها لكي تُكمل، وأكلمت: "إن مـارك ببسـاطة لـيس صـادقًا بمشاعره تجاهك"

عقدت حاجبيَّ ثم سألتها: "لماذا؟"

قالت لوسي بثقة "لو فعلاً كان صادقًا لمنعك"

نظرت مرة أخرى إلى الطريق من خـلال النافـذة، أنـا لم أطلـب منهـا تفسيرًا لعلاقتنا أنا ومارك، ولن أهتم أصلاً باستنتاجها.

ثم أرادت لوسي أن تغير الموضوع : "وإن يكن، نحن سنقضي وقتًا رائعًا بعد هذه الدقيقة" وشغلت مسجل السيارة وكان مزاجي غير لائق بالمرة لسماع أي أغنية، رمقت لوسي بنظرة وكانت متحمسة جدًا مع الأغنية لدرجة أنها تحرك يدها مع الألحان. مرت دقيقة، دقيقة ونصف، دقيقتان.. وبحركة سريعة أغلقت المسجل ونظرت إلى لوسي وكانت تنظر إليَّ بنظرات شفقة لا أحتاجها.

قالت لوسي : "أوه.. عزيزتي كرستن، لم أذكر أنني كنت هكذا عندما هربت الهيروين لأول مرة!"

وضحت لها : "أنتِ لا تفهمين!"

قالت : "ستتخلصين من التوتر عندما ترين المنتجع الذي سنقيم فيه".. كانت لوسي تريد أن تشجعني على التخلص من القلق

كنا قد سلكنا طريقًا آخرَ بعيدًا عن مطار لندن هيثرو الدولي الذي هو أقرب لنا مما سبب لي التوتر وقد سألت لوسي عن ذلك.

"نعم.. أولاً سنذهب إلى منزل أحد شركائنا ثم سنغادر إلى المطار"

سألت لوسي : "لماذا سنذهب إلى هناك"

قالت : "هناك إجراءات قبل المهمة"

11

بلغنا وجهتنا البعيدة عن المدينة فقد وصلنا إلى منطقة ريفية خضراء، توقفنا أمام منزل مصنوع من خشب متهالك نسبيًا وهو صغير الحجم هرمي السطح ذو طابقين، كانت هناك طاولة لأربعة أفراد في محيط المنزل، يجلس على أحد الكراسى رجل سمين حليق الرأس وفور أن لاحظ وقوفنا أمام المنزل، هَمّ بالوقوف، ترجلنا أنا ولوسي من السيارة وأنا مططت جسدي الذي آلمني من الجلوس طويلاً، تقدمت لوسي إلى الرجل وهي تحييه بكل حماس: " بيغ بوس! "

كتمت ضحكة في سري، بيغ بوس؟ هل هو راضٍ عن نفسه؟ هل يسمونه (بيغ بوس) لأنه الرئيس العالي المقام أم الرئيس الكبير الحجم؟ تبعت أنا بدوري لوسي، ثم ألقيت التحية عليه.

قال بيغ بوس بنبرة صوت ثقيلة جدًا: "مرحباً يا صغيرة" ، وقد مد يده لأصافحه، صافحت يده الضخمة، التي تغطيها الخواتم الذهبية اللامعة والكبيرة، ثم تنقل بصري إلى وجهه، كان ينظر إليَّ بحزم شديد وبنظرات قوية لا أتحملها فسرعان ما نزل بصري إلى يدي حيث كنت أصافحه لكن قبل ذلك كنت أتأمل السلسلة الذهبية الكبيرة التي

تتدلى من عنقه . . كانت مجموعة من السلاسل أشبه بتلك التي في السجن، وكانت السلسلة تنتهي بقطعة دائرية ذهبية تبرز منها رأس أمرأة مرعبة وكنت أحاول أن أتهجى تلك الكلمة التي كانت محفورة على القطعة الدائرية أسفل الرأس مباشرة: " في . . . ر . . . زا . . . تشي، فيرزاتشي " انتبهت إلى أنني قد تهجيت الكلمة بصوت مرتفع، نظر إليَّ بيغ بوس وهو يضحك ثم قال: "هل تعرفين ماذا تعني فيرزاتشي؟ " كان يسألني باستهزاء، بصراحة لا أعرف ما هو الفيرزاتشي وكيف يُستخدم أو كيف يؤكل ربما هذا اسم ذلك الرأس المرعب ولكن فعلاً لا أريد أن أظهر بمظهر حمقاء أمام هذا الرجل المستهين، أنقذتني لوسي عندما لاحظت جهلي التام عن إجابة ذلك السؤال وقالت: " يا لسرعة مرور الوقت يجب أن نكون في المطار في غضون ساعة ونحن نضيع وقتنا في هذا! "

قال بيغ بوس: "حسنًا . . لننتهِ من هذا الأمر بسرعة" ، ثم دخل المنزل وتبعته لوسي وأنا قد تبعت لوسي أيضًا

شد بيغ بوس انتباهي قائلاً: "أنتِ يا صغيرة" ، ثم نظرت إليه فأكمل : "هذه أمور خاصة . . ابقي خارج المنزل"

بـررت قائلـة : " لا أقصـد التطفـل سـيدي لكـنني أفضـل البقـاء مـع لوسي " ، رمقني بنظرة ثـم قـال باسـتعلاء : " إذا قلـت لـك أن تـأتي فعليك أن تأتي ، وإذا قلت لك ألا تأتي عليك ألا تأتي ! مفهوم؟ "

نظرت إليه باستغراب وكنت أوشك على قول شيء ولكن نظـرت إلى لوسي وكانت قد أغمضت عينيها وكأنها تقصد أن أهدأ، تراجعت أنا إلى الخلف وأنا أنظر بحدة إلى بيغ بوس الـذي اسـتفزني كلامـه الثقيـل وكأنه في طابور عسكري يلقي أوامر صارمة ، بعدها التفتُ واتجهت إلى إحدى الكراسي وجلست عليه ، لم يثرني الفضول فيمـا يـدور الأمـر داخل المنزل لأنني واثقة أن لوسي ستخبرني فيما بعد .

مر الوقت ببطء وبعد فترة خرجت لوسي دون بيغ بوس ثـم قالـت : " هيا كرستن . . لنذهب : " قالتها وهي تغلق زمام حقيبة يدها

كنت أسترق النظر إلى ما تضـعه داخـل حقيبتهـا ، ولكـن كـان أشـبه بظرف ، وقبل أن أسأل لوسي عما داخله ، خرج بيغ بوس ثـم همّـت لوسي بالرحيل وتبعتها أنا .

" إلى اللقاء ياصغيرة " قالها بيغ بوس قبل أن أفتح بـاب السـيارة وهـو يلوح بيده ، رمقته بنظرة ثم سمعته يضحك ضحكة تافهة .

دخلنا السيارة وفي وجهي علامة استفهام كبيرة، سألت لوسي: " هل أخبرت بيغ بوس بأنني أدعى "صغيرة"؟ "

ضحكت لوسي باستهزاء ثم قالت: " لا أظنك تريدين أن تعرفي ماذا يدعوني" ، ثم ضحكت مرة أخرى

"حسنًا . . ماذا كنتما تفعلان داخل المنزل؟ " قلتها والفضول يعتليني

كان صمت لوسي طويلاً قبل أن تتفوه: "إنها . . . كانت . . . أقصد أعمال سابقة . . . أعني كنت أعمل لصالح بيغ بوس في السابق . . . والآن فقط نتكلم عن العمل"

قلت لـ "لوسي" وكأنني أستجوبها: "و الظرف؟ " "الظرف كانت حصتي لقاء العمل . . "

كانت لوسي مترددة و ترددها بعث عندى فضولاً أكثر ثم قلت: "وما هي تلك الأعمال؟ "

"كرستن . . كفاكِ أسئلة، سأختصر لك الأمر . . إنه عمل غير قانوني . . . "

"حسناَ . . لماذا لم تقولي لي ذلك منذ البداية؟ "

12

وصلنا إلى مطار لندن هيثرو الدولي وذهبنا إلى قسم تسجيل الدخول للطائرة، توجهنا إلى إحدى الموظفات، وقد أعطيتها جوازي سفرنا أنا ولوسي، بدأت تتفقد الجوازين وتنقر على لوحة المفاتيح من وراء شاشة الحاسوب، ثم سألتنا إذ ما كنا نحمل أمتعة فوضعتها لتقيس وزنها ثم وضعت لوسي حقيبتها أيضًا.

سألتني الموظفة: "رحلتكما إلى جامايكا؟"

أجبتها: "نعم"

قالت الموظفة: "موعد الرحلة هي الـ 10:10 صباحًا والهبوط سيكون في العاصمة.. كينغستون؟"

نظرت إلى لوسي بنظرة أهذا صحيح؟ ثم أومأت لوسي إليّ بالإيجاب

قلت للموظفة وأنا أستلم جوازي سفرنا من على الطاولة: "نعم.. هذا صحيح"

سألت الموظفة: "ما سبب ذهابك إلى جامايكا؟" صمتُّ برهة لأنني ارتبكت فعلاً! وكأنها قد عرفت! ثم أنقذت صمتي لوسي وهي

تقول : "نحن ذاهبتان لرؤية الأهرامات والحضارة الفرعونية" قالتها باستهزاء ثم ضحكتُ بخفة لأنني أعرف تمامًا ما ستقوله، ثم فعلاً أكملت ولكن بتهجم : "ما رأيك أنتِ؟ وهل هذا يعتبر جزءًا من عملك؟ والآن اعذرينا . . طائرتنا ستطير بينما أنتِ تتطفلين على الناس!"

دُهشت الموظفة وقالت : "معذرة؟" . . لا ألومها لأن أسلوب لوسي مبالغ به

قالت لوسى : "لقد سمعتِ ما قلت . . والآن أعطينا تذاكر الدخول للطائرة واتركي الفضول!"

أعطتنا الموظفة التذاكر دون أن تنبس ببنت شفة، ثم غادرنا وقبل ذلك قالت لوسي قاصدة الموظفة : "متطفلة!"

***

بعد أن أكملنا إجراءات السفر توجهنا إلى أحد المقاهي لننتظر الخطوة الأخيرة وهي مغادرة بريطانيا والتوجه إلى جامايكا، نجحت لوسي في جعلي أنسى أصلاً أن هذه الرحلة من أجل تهريب "البضائع"، أخبرتني لوسي بأن هذه الرحلة ستكون طويلة جدًا فسنقضي 9

ساعات في الطائرة إلى أن نصل لـ جامايكا ومع اختلاف التوقيت سنصل إلى هناك الساعة الخامسة صباحًا، أيّ أننا سنعيش الصباح مرتين!

أخبرتني لوسي عن أناس ذهبوا معها إلى رحلة تهريب والآن هم يعيشون في أقصى مراحل الرفاهية، شجعني هذا الأمر كثيرًا، وأنا سأكون مثل الذين من قبلي، سأبدأ حياة جميلة تفوق جميع تصوراتي، ودائمًا تتراءى في عقلي صورتي وأنا أقول لـ"لوسي" إنني سأهرب الهيروين عندما أصبح مختلة عقلية أو أرغب في الانتحار، كنت أجهل مدى سهولة وبساطة الأمر لذلك كنت أبالغ كثيرًا في ردود فعلي تجاه هذه النوعية من الأمور، إنها ليست مسألة جنون أو رغبة في الانتحار، إنها فقط مسألة المال، وأنا أصنف نفسي كمحظوظة لامتلاكي صديقة مثل لوسي.

13

قبل موعد طيران رحلتنا تم النداء عليها وتوجهنا إلى البوابة، ركبنا الطائرة وكانت لوسي أمامي وأنا أتبعها مررنا من درجة رجال الأعمال التي من المفترض أن تكون درجتنا ولكن وصلنا إلى الدرجة السياحية وبعد استقرارنا في مقاعدنا أول شيء قلته هو : " ألم تقولي إننا سنجلس في درجة رجال الأعمال؟ " تداركت لوسي الأمر ثم قالت : " أوه . . هذا صحيح . . من المفترض أن نكون في درجة رجال الأعمال " ثم نظرت إلى المكان وعدلت من جلستها : " سأخبر الشركة عن هذا الخطأ فور وصولنا جامايكا وأعدك . . ستكون رحلة الرجوع إلى بريطانيا في الدرجة الذي يجلس فيها الطيار " انتظرت لوسي أن أضحك لتغيير الجو ولكن لم أفعل لأن هذا الأمر جاد! وهذه المرة تعتبر أول مرة أركب فيها طائرة في رحلة دولية لأنني اعتدت على الرحلات الداخلية القصيرة، والآن ماذا سأفعل طيلة 9 ساعات في مقعد كهذا! وبعد أن أقلعت الطائرة واستقرت في الجو، فوجئت بأن الكرسي الذي أمامي قد اقترب مني ثم نظرت إلى لوسي لأنتظر منها شرحًا ثم قالت : " إنه شيء طبيعي، لقد حرك مقعده إلى الوراء لكي ينام "

" هو يرتاح وأنا أتضايق؟! "

" لا بأس . . يمكنكِ أن تفعلي المِثل "

" لا أريد أن أضايق من خلفي! "

" حسنًا . . "

كانت تلك أتعس رحلة، مقاعد ضيقة وبالكاد استطعت النوم والأكل! كان نومي متقطعًا والمطبات الهوائية قد آلمت رأسي، لوسي نامت طوال الرحلة بينما كنت أتطلع من النافذة على . . . الفراغ.

أفضل خبر سمعته طيلة هذه الرحلة وصولنا لجامايكا، فجأة شعرت بحيوية ونشاط يحتويني، وكنت أبتسم بينما لوسي تتمدد وكانت متعبة تمامًا من الرحلة، بينما أستطيع أن أراهن أنني أكثر من تعب بين جميع من كان في الرحلة وعلى الرغم من ذلك كنت نشطة جدًا.

14

هبطت الطائرة في كينغستون، مطار نورمان مانلي الدولي، جامايكا. كان المطار متوسط الحجم ذا واجهات خارجية زجاجية، توجهنا إلى قسم استلام الأمتعة، أخذنا حقائبنا بعد انتظار طويل ثم أتممنا إجراءات جمارك الخروج من المطار، وغادرنا المطار.

وقفنا خارج المطار أمام الشارع الذي تتواجد فيه سيارات الأجرة، وقبل أن أسأل ماذا سنفعل الآن، أخرجت لوسي هاتفها من حقيبتها ثم أجرت اتصالاً هاتفيًا، وبعد دقائق معدودة أتى رجل من الواضح أنه جامايكي واقترب ثم قال بأسلوب ترحيبي: "لوسي!"

ألتفتت لوسي إليه وهي تقول بنفس الأسلوب: "كارلوس!"

قال كارلوس: "مر وقت طويل.."

قالت لوسى: "نعم... حسنًا كارلوس.. أعرفك على صديقتي المقربة كرستن".. كانت تقولها وهي متحمسة جدًا، صافحت كارلوس وتفحصت ملامحه وهيئته، هزيل الجسد، عظام وجنته بارزة وعيناه جاحظتان، كان كارلوس بسيطًا جدًا، كنت أتوقعه سيرتدي ما يلفت النظر كـ "بيغ بوس" الأخرق، كان يرتدي سترة مطر نظراً

لظروف الطقس وبنطلونًا واسعًا .

قال كارلوس : "مرحبًا كرستن"

قلت له : "مرحبًا"

ثم توجهنا إلى سيارة كارلوس المتواضعة، كارلوس تولى القيادة ولوسي جلست في المقعد الأمامي بينما جلست في الخلفي، كانت الساعة تشرف على السادسة صباحًا، كنت أتأمل جامايكا أو العاصمة كينغستون، كان المطر يهطل بغزارة وكان الجو نوعًا ما باردًا، المباني هناك ليست شاهقة الارتفاع والأشجار الخضراء تنتشر على جنبات الطريق، مررنا أيضًا على تمثال المطرب الأسطورة "بوب مارلي" الجامايكي وكان التمثال مصنوعًا من النحاس، كان بوب مارلي يحمل جيتاراً كهربائيًا ويعزف به، وحول هذا التمثال تتواجد النباتات والحشائش الصغيرة .

15

وصلنا إلى منطقة من الواضح أنها فقيرة، كان سكانها سعداء رغم ظروف الفقر القاهرة، ولكن قد تداركت أمراً ما . . . ألم تقل لوسي إننا سنسكن في منتجع فخم؟ من المستحيل أن يكون في هذه المنطقة تحديداً أي نوع من المنتجعات!

بعد السير مسافة أطول وصلنا إلى منطقة شبه مأهولة، توقفنا أمام بناية متهالكة وحيدة في وسط السهل، ذات طابقين فقط، جدرانها بيضاء ويتسرب من السطح طين رمادي اللون بفعل الأمطار، وصبغها يتشقق ولا يبدو على هذا المكان أنه مسكون من قبل بشر!

كنت في داخلي أتمنى ألا يقول كارلوس إن هذا هو المكان الذي ستعيشان فيه ولكن صدمتني الحقيقة المرّة وقال كارلوس: "هذا هو المكان الذي ستعيشان فيه"

رفعت صوتي على كارلوس قائلة: "ماهذا المكان؟!"

نظرت لوسي إليَّ بارتباك وهي تهمس: "ماذا تفعلين؟!"

قلت: "لا تقل لي إننا سنسكن في هذا المكان! لقد أخبرتني لوسي بأننا سنسكن في منتجع فخم! أمام شاطئ بحر! وليس بناية مهجورة في

وسط مكان مهجور ! " لم أتمالك أعصابي عندما رأيت كارلوس يضحك ، ثم ترجلنا جميعنا من السيارة وتوجهت لكارلوس ثم دفعته بقوة بيديَّ وأنا أقول : " أنا لن أعيش إلا في المكان الذي أُخبرت به ! "

فتح كارلوس فمه ولكن لم يتفوه بكلمة فقد سبقته لوسي بذلك قائلةً : " كرستن . . . لم نجد حجزًا إلا في هذا المكان ولكن لا تقلقي عندما نذهب إلى الإكوادور سنذهب إلى المنتجع الذي تتمنينه "

صمتٌ ثم قالت لوسي : " آسفة كرستن على هذه الرحلة المليئة بالأخطاء . . سأعوضها . . لا تقلقي "

لم أتفوه بكلمة بل توجهت إلى صندوق السيارة الخلفي حيث أخذت حقيبة سفري واتجهت إلى بوابة البناية وفعلت لوسي الشيء نفسه وقادنا كارلوس إلى الداخل .

دخلنا ويمكن تمييز علامات التعجب على أعين الموظفين اللذين يعملان موظفي استقبال ، كأنهما يتساءلان إن كُنا بشرًا فعلا أم أشباحًا .

استكملنا إجراءات الدخول وسلمانا مفتاح غرفتنا ، وكنا أنا ولوسي في غرفة واحدة ، أزعجني ذلك فأنا أحب الاستقلالية ويزعجني أن أشارك أحدًا أي شيء ، تقبلت الأمر لأنها فقط ثلاثة أيام ثم نغادر إلى الإكوادور .

ارتميت على السرير واستغرقت في نوم عميق حتى إنني لم أرتب ملابسي وأغراضي ولا حتى فتحت حقيبتي .

استيقظت الساعة الواحدة والربع ظهراً على صوت أقدام لوسي، ثم قلت بصوت متعب : "لوسي؟" كانت لوسي ترتدي ملابس أخرى تمامًا، معطفًا جلديًّا آخرَ وصففت شعرها بطريقة مرتبة .

قالت لوسي : "أوه . . لقد استيقظتِ كرستن"

"لماذا لم توقظيني؟"

"أوه . . صحيح! إذًا استيقظي كرستن"

"أين ستذهبين؟"

"سنذهب لتناول الغداء مع كارلوس، هيا رتبي وجهك"

"أرتب وجهي؟"

"نعم! انظري إلى تلك الملامح الضائعة"

"أنا متعبة . . . أريد أن أبقى هنا"

"لا، هناك أشياء مهمة سيقولها كارلوس"

***

خرجنا من الفندق وما زالت الأمطار تهطل ولكن بأقل غزارة عن صباح اليوم، رأيت كارلوس واقفًا بجوار سيارته يدخن، حيانا كارلوس ولكني لم أتفوه بكلمة وركبنا سيارته.

ذهبنا إلى مطعم بعيد جدًا عن هنا، كان يقدم طعامًا أمريكيًا، جلسنا على إحدى الطاولات، وقد أخبرنا كارلوس بأن ضيوفًا سينضمون إلينا فلن نطلب قبل يصلوا.

وبالفعل رأيت فتاتين تقتربان من طاولتنا، انتبه كارلوس لهما ثم حياهما ودعاهما للجلوس.

وجه كارلوس لنا كلامه: "أقدم لكما آيمي" وأشار إلى فتاة ذات ملامح شرق آسيوية

"وهذه ليلي" وأشار إلى فتاة سمراء

قلنا أنا ولوسي: "تشرفنا بمقابلتكما"، لوسي كانت سعيدة وكأنها تعرف الأمر بينما أنا كنت أتساءل ما علاقتنا بهما؟

"أيمي وليلي ستكونان شريكتنا في مهمتنا"

سألت كارلوس: "هل ستهربان المخد... البضائع معي؟"

قال كارلوس: "كلا، في الواقع هما اللتان ستجعلان خطتكما تنجح

100٪ وبلا أي قلق أو توتر، اسمحا لي بأن أشرح لكما الخطة أو لـ "كرستن" تحديداً" . . استرسل كارلوس في الحديث وشرح الخطة بعد أن رمقني بنظرة يريد أن يعرف مدى قلقي من تعابير وجهي: "يوجد حاجزان للجمارك عند هبوطكما في الإكوادور . . في كل حاجز اثنان إلى أربعة صفوف موجودة وستذهبان إلى الصف الذي ستكون آيمي أو ليلي فيه لنتفادى التفتيش اليدوي، وبالمثل في النقطة الثانية، وهكذا سيسهل عليكما العبور دون التعرض لخطر التفتيش اليدوي من أحد موظفين المطار"

لم أفهم تمامًا ما قاله وكنت بحاجة إلى أن يتكلم بصورة أبسط ثم قلت: "لم أفهم!"

أوشك كارلوس على النطق لكنَّ آيمي بدأت بالكلام قبله وكانت تنظر في عينيَّ بثقة كبيرة تشوبها الغرور وهي تقول: "كرستن . . ستذهبين إلى المطار ملصوق على جسمك مخدر الهيروين وعندما تصلين للحاجز الأمني اليدوي ستذهبين لي أو لـ "ليلي" ونحن نعرف أنك تحملين الرزم فسنقوم بجعلك تمرين بسلام" ثم حدقت في عينيَّ لتحصل على إشارة تعني أنني فهمت ماقالته.

"ولكن هل سنضع الرزم على أجسامنا؟"

أجابتني آيمي وكانت تتكلم كالروبوتات: "بالتأكيد، ستكون أربع رزم وفي كل رزمة نصف كيلوغرام" "والمجموع الكلي هو . . كيلوجرامان؟"

"كيلوجرامان"

"ولكن لماذا لا نضع الرزم في حقيبة سفرنا؟"

"تتعرض حقائب السفر للكلاب البوليسية، فرجال الشرطة يجعلون الكلاب تتحرى عن الممنوعات عن طريق شم الحقائب قبل شحنها في الطائرة"

"حسنًا . . . ومتى ستكون رحلتنا إلى الإكوادور؟"

قال كارلوس "في الثالث من يناير"

ساد الصمت وتبادل النظرات إلا أنا . . كنت ـ كالعادة ـ أفكر في الأحداث السلبية التي من الممكن حدوثها، لاحظ الجميع توتري وفي محاولة من لوسي لتغيير الجو قالت: "لقد أخبرناك بهذه الخطة لكي لا تقلقي ولا تتوتري يا كرستن! لا يمكن الإمساك بنا بعد كل هذه التجهيزات، والآن أنا قد جعت فلنطلب ما يسد جوعنا"

***

رجعنا إلى الفندق من جديد، ثم خطر في بـالي مليـون سـؤال! وكـان أهمها ما سـألته لــ"لوسـي" : "مـن سـيتولي جمـارك خروجنـا مـن جامايكا؟"

أجابتني لوسي بكل برود : "لا أحد"

"كيف لا أحد؟ إذًا سيتم تفتيشنا يدويًا!"

"لقد أخبرت كارلوس بنفس النقطة من قبل ولكن قال لـي بـألا أثـير الشبهات"

يا ليتني لم أسأل، لقد بعَثَت الخوف في قلبي، وكنـت أخـاف مـن أن أتراجع عن ذلـك ولكـن لوسـي كانـت دائمًـا تقـول : "لا تقلقـي يـا كرستن، لن يحدث شيء يا كرستن، لا تخافي يا كرستن" كنتُ فقـط أتمنى الحصول على الشعور بالطمأنينة التي في قلب لوسـي ولكـن قـد أبتليت بالخوف من كل شيء.

في المساء وعند وقت النوم أحضرت لوسي بعض الشـطائر والعصـائر لنأكل ونشرب سويًّا ولكن شهيتي كانت غير مفتوحة للأكـل، كنـت منهمكة في التفكير، هذا يزعجني فعلاً وكأنه مرض لا يرجى شفاؤه، لوسي أيضًا انزعجت مني وكأنني مصدر كآبة وحزن بالنسبة لها.

تركـت شـطائري علـى الطاولـة فبالتأكيـد سـأجوع في الصـباح، ثـم

إستلقيت على سريري وكانت أكثر أُمنية طرأت علـى بـالي أن يكـون كل هذا كابوسًا مزعجًا سأستيقظ منه صباحًا ويكون من الماضي، قطع حبل أفكاري صوت لوسي وهـي تقول: "تصـبحين علـى خـير. . . صديقتي كرستن. . . أحبك كثيرًا. . . أكثر مما تتصورين. . . حتـى أكثر من فرناندو"

كنت أريد التظاهر بالنوم ولكـن بعـد مـا سمعتـه كـان لا بـد أن أرى تفسيرًا. . . أولاً هي تعلم أنني أحبها أيضًا. . ثانيًا من هـو فرنانـدو؟ نظرت إلى لوسي ثم قلت: "فرناندو من؟"

ترددت وهي تقولها "لقد ظننت أنك نائمة"

كنت أشعر بالفضول حيال كلامها الواضح الغامض، ولكن شعوري بالتعب الشديد لم يوفر لى فرصة سماع الإجابة، لذا تجاهلـت لوسـي تمامًا واستسلمت لنوم عميق أرسلني إلى أعمـاق أسـوأ كوابيسـي . . كالعادة.

16

2 يناير 2006

الإثنين

استيقظت في الصباح، لم أكن أعلم ما كان الوقت آنذاك ولكن لم أستشعر حس لوسي في الغرفة، نهضتُ من فراشي ثم توجهت إلى الحمام وقرعت الباب، مرة. . . مرتين. . . لا رد، ثم فتحت الباب فَلَم يكن مقفولاً كما ظننت ولم تكن لوسي داخله أيضًا.

أيقنت أن لوسي قد خرجت لتحضر فطوراً لتأكله هي، بينما أنا سأتناول ما لم أتناوله ليلة أمس، لذا قررت انتظارها خارجًا، وقد أصبحت مستعدة للخروج، فقد جمعت شعري وربطته ولبست معطفًا قطنيًّا واتجهت إلى الخارج.

نزلت إلى مكتب الاستقبال وألقيت التحية عليهما، ثم التقيت بشمس الصباح الباردة وجلست على أحد الكراسي الواقعة خارج المبنى، كنت أتأمل الطريق حينًا وهاتفي أحيانًا أخرى بانتظار اتصال من لوسي.

كنت أتأمل أيضًا الساعة الرقمية التي تظهر في شاشة هاتفي، كانت

الساعة السابعة صباحًا ولم ألحظ إلا سيارة أو سيارتين تمران من الطريق الذي أمام الفندق. كنتُ أشعر بالوحدة فكانت أبسط أُمنياتي أن أرى لوسي الآن، لأنني لا أعرف ماهي خطتنا لهذا اليوم ويزعجني جدًا الانتظار.

كنت قد انتظرت لوسي طويلاً؛ لذا ذهبت مرة أخرى إلى غرفتي وتأكدت من أنها فعلاً غير موجودة ثم راودتني أسوأ الأفكار بأنها قد تركتني وذهبت أو ما شابه، ثم أسرعت إلى خزانتها ولم أجد حتى شيئا واحدًا يخصها! أصابني الهلع فإنني لم ألحظ حتى اختفاء أغراضها من على الطاولة ولا حتى في الحمام ولا أثر لحقيبة سفرها، ماحدث واضح ومع ذلك حاولت الاتصال بها فكان هاتفها مغلقًا، ثم نزلت إلى الاستقبال مرة أخرى.

"هل خرج أحدٌ من هنا مؤخرًا؟ أعني أنني أبحث عن صديقتي لوسي التي أنتقلت معي للمكوث هنا لثلاثة أيام"

قالا بملل: "لا لم نرَ أحدًا سيدتي"

"حسنًا. . ." ثم أجريت اتصالاً بـ "لوسي" ولكن النتيجة سلبية، كان مغلقًا أيضًا

نظرت حولي وأنا أترقب حلاً، فلم أجد سوى كاميرات المراقبة، واحدة تراقب الباب الرئيسي والأخرى تراقب منضدة الاستقبال، فخطر في بالي آخر الحلول التي يمكنني أن أجد بها لوسي.

"هل يمكنني أن أرى سجل هاتين الكاميرتين؟"

قال أحد الموظفين: "أعتذر سيدتي.. لقد تم إطفاء هاتين الكاميرتين منذ زمن طويل"

ليس غريبًا أن يتم إطفاء كاميرات المراقبة في مثل هذا المكان، فكاميرات المراقبة تعتبر أثمن شيء في هذا المبنى بلا شك، ولكن في الواقع الكاميرات تعمل، وبشكل صحيح أيضًا، فقد كان النقطة الحمراء المضيئة تحت الكاميرة تشير بأنها تعمل؛ لذا و بصورة سريعة اندفعت إلى الباب الذي يقع خلف المنضدة آملة بأن تكون تلك الغرفة هي المسئولة عن الكاميرات والتي تشمل سجلهما أيضا، دفعت الموظفين اللذين حاولا بدورهما تشكيل حاجز يحول بيني وبين الغرفة، ولكن من صدمتهما وعدم توقعهما لحركتي السريعة قاومتهما وفتحت الباب وقفلته وأنا أشعر بالاهتزازات الصادرة جراء ضرب الموظفين للباب.

لم أكترث بهما فقد أصبحت في غرفة شبه مظلمة، فنورها فقط شاشات الكاميرا التي أصبحت أرى بها الموظفين يركلان ويضربان الباب ومن ملامحهما يبدو عليهما الغضب الشديد، ركزت في ما أريده، كان هناك أربع شاشات مراقبة تطل على أماكن متفرقة من هذا المبنى ، و ما زلت أتعجب من الكاميرات في هذا المكان المهجور!

باعدت بين أصابعي فوق لوحة المفاتيح التي تدير عمل الكاميرات، ثم بحثت عن زر يعود بالشريط الزمني إلى الوراء، السابعة صباحًا. . . السادسة. . . الخامسة. . . الرابعة! وهنا قد صَحّ اعتقادي! ويا ليته لم يَصِح!

كنت أرى من خلال تلك الشاشة المشوشة، لوسي خارجة من المبنى وهي تمسك بحقيبة سفرها وتنظر خلفها ثم جاء أحدهم وكأنه يريد أن يهدئ من روعها. . . كان سمينًا وحليق الرأس. . . يذكرني بأحد ما. . . إنه بيغ بوس!

حالما رأيت هذا شعرت وكأن قلبي على وشك التوقف، ماذا يحدث؟ ماتفسير ما يحصل؟ هل هذا يعني بأن لوسي قد تركتني هنا؟ لقد صعقت تمامًا! تركتني ورحلت، تركتني في بلدة غريبة، يتكلمون لغة

لا أفقهُها، والآن اثنان في الخارج يضربان ويحاولان فتح الباب بكل ما أوتيا من قوة! لقد انتهيت، انتهيت تمامًا.

فتحت قِفل الباب وانهرت أمام الموظفين: "أنا آسفة، أنا آسفة"

تأملني الموظفان دون أن ينبسا ببنت شفة بينما نظرت إليهما بنظرة مكسورة ثم أسرعت إلى غرفتي ولم أكف عن الاتصال بـ"لوسي" ولكن لم ترد على اتصالاتي فكان هاتفها مغلقًا طوال الوقت ولم أكف أيضًا عن إرسال الرسائل النصية.

ولكن قد أدركت موقفي الآن، كيف لـ "لوسي" أن تتركني أنفذ جريمة خطيرة كالتهريب وحدي! لقد آلمتني ثقتي العمياء في لوسي، لم أتصور بأنني سأتعرض لخيانة كهذه في حياتي ومن أقرب الناس لي!

دفنت وجهي في كفيَّ اللذين يرتعشان بقوة وأجهشت بالبكاء، فأنوح تارة وأشهق تارة أخرى، وعيني قد تقرحت، وفعلاً أصبحت في حالة مزرية تمامًا.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه... لماذا تركتني ورحلت؟

17

يجب أن أحسم أمري، إن ذهبت فأنا لا أعرف كيف أتصرف ويقبضون عليّ لا محالة، وإن أنا لم أذهب سأعود إلى الفقر والمعاناة.

ولكن بعد وقت من التفكير المطول اتخذت قراري واتصلت بـ"كارلوس"، وأخبرته بأن يأتي لموضوع هام فاستجاب فعلاً وخرجت مرة أخرى بعد أن غسلت وجهي وحسنت من شكلي قليلاً، وأنا خارجة تحاشيت النظر المباشر للموظفين، فقط ركزت على طريق الخروج.

ذهبت إلى الخارج وكارلوس كان موجوداً أساسًا ثم ألقيت التحية بشكل سريع، وجلسنا على أحد الكراسي.

قال كارلوس: "حسنًا.. ماذا يحدث؟ تبدين وكأنك قد... بكيتِ"

"في الواقع كارلوس... نعم، لقد بكيت"

"لماذا؟ ماذا حدث؟"

"إنها لوسي... لوسي غير موجودة" قلت وأنا أحاول أن أبتلع دموعي

"لقد ذهبت؟"

"نعم"

"حسنًا، إذًا ستذهبين وحدك غدًا"

"أنا لا أظن بأنني سأتمكن من فعل ذلك" قلت بهدوء ثم أكملت: "أعتذر.. أنا أنسحب وقد حسمت قراري"

"تنسحبين!" صرخ كارلوس في وجهي فقفزت في مكاني من الصدمة، ثم قال: "حُسم أمرك بالنسبة لك وليس بالنسبة لنا! ولن تنسحبي! الرزم موجودة معي وستقومين بتهريبها يا كرستن! لقد أصبحتِ في نقطة الـ "لا عودة"!"

كنت ساكنة تمامًا في مكاني، بينما كارلوس يحدق في وجهي ويضغط على أسنانه: "لقد قمنا بكافة التجهيزات لتمر رحلتك بسلام وها أنتِ ذا تقولين بكل بساطة إنك تريدين الانسحاب! عجبًا!"

"كارلوس! أنا لم أكن أريد أن أقوم بالتهريب من قبل! لوسي هي التي شجعتني والآن هي قد رحلت! أنا لا أستطيع الإكمال وحدي!" قلت لـ كارلوس وفي صوتي رجفة واضحة

قال كارلوس وكان يعنيها فعلاً: "أنا لا أكترث إن كنتِ حمقاء!" كنت

خائفة جداً، فأنا فعلاً لا أريد أن أفعل ذلك! ولكن كنتُ أريد أن أثبت على رأيي، ويا ليتني لم أفعل! فقد قلت محاولةً إظهار الشجاعة: "سأغادر من هنا في أول طائرة"

قال كارلوس بغضب: "ليس لديك الجرأة الكافية لذلك"

قلت بحزم واضح: "بل سأفعل! لا شيء يردعني من ذلك!"

صرخ كارلوس في وجهي مرة أخرى: "ستبقين هنا كرستن!" ثم أكمل: "وستكملين المهمة! وإلا..."

قاطعته في الحديث: "وإلا ماذا كارلوس؟ وإلا ماذا؟"

"وإلا سيكون مصير عائلتك شنيعاً!"

"عائلتي؟ هيا أخبرني ماذا ستفعل!"

صمت كارلوس لبرهة ثم قال: "مارك هارمنسون، روزي فيليب، جون فيليب..." ذكر اسم أمي وأبي ومارك وذكر عنوانهما وأرقام التواصل معهم ثم قال: "كلية مارك الواحدة تساوي ضعف ما ستسلمينه عندما تنتهين من تهريب الهيروين"

عرفت قصده وقد انتصر عليَّ كارلوس، هذا الرجل يريد أن يتاجر

بأعضاء عائلتي البشرية! تجمدت في مكاني ولم أفكر حتى في الرد على هذا المجنون، فقد عرف نقطة ضعفي الآن، وسيهون عليه أن يقتل أفراد عائلتي من أجل بيع تلك المادة القذرة.

"إن لمست شعرة من عائلتي أقسم أنني سوف. . . "

تساءل كارلوس باستهزاء: "سوف ماذا؟"

حدقت في عينيه ثم قلت: "سوف أُقطعك أربًا أربًا. . لن تهرب أبدًا من العدالة يا كارلوس هذا عمل غير إنساني!"

"الهيروين أم عائلتك؟ هيا بسرعة!"

خيرني بين قرارين من أصعب القرارات التي سأتخذها في حياتي، إما أن أهرب الهيروين وإما أن أنقذ عائلتي، ولكن لا ذنب لعائلتي بما ارتكبته أنا فقد كان قراراً خطأ منذ البداية، لذا وبدون تفكير وبيأس تام سأهرب الهيروين.

18

بما أن يوم المغادرة إلى الإكوادور غدًا، سنبدأ في التجهيز للرحلة من الآن تفاديًا لأي تأخير يحدث، لذا توجهنا إلى غرفتي ـ أنا وكارلوس ـ وفي يده حقيبة سوداء أحضرها من سيارته.

وصلنا إلى غرفتي ثم فتح الحقيبة وأخرج قطعًا متوسطة لشيء ملفوف جيدًا بالشريط اللاصق البني، بدا ذلك الشيء كالصناديق الممتلئة، بدأت عيناي تذهبان هنا وهناك محاولة إدراك ما سأقوم بفعله غدًا.

قال كارلوس بعد أن رأى ضياع عينيّ: "هذه تسمى "رزم" وتحتوي على مخدر نقي 'هيروين' "، ثم استكمل: "وستلصقينها على جسدك، أحضرت 4 رزم، وأحضرت هدية لك على الرغم مما أبديته قبل قليل من رد فعل"

لم أتفوه بكلمة، كنت فقط أومئ برأسي وترقبت الهدية، ثم أخرج فستانًا صيفيًّا ملونًا وفضفاضًا من الحقيبة وفرده على السرير، ثم أخرج 'جاكيت' قماشه 'جينز' فاتح وفرده على السرير فوق الفستان مباشرة، وبعد ذلك وضع الحقيبة رأسًا على عقب ليتناثر منها مساحيق تجميل ومجوهرات.

لم أنبس ببنت شفة بل طويت الفستان بدون أي تعابير عن وجهي إلا تعبير الغضب .

" كل ذلك من أجل المهمة ، هذه الإطلالة ستمنحك مظهراً يبعدك عن الشبهات "

أخذت الملابس وعلقتها في الخزانة ، ووضعت المجوهرات ومساحيق التجميل على الطاولة بشكل مرتب ثم تحسست رزم الهيروين وشعرت بقشعريرة تسري وراء رقبتي ووضعتها على الطاولة أيضًا مع الشريط اللاصق الذي ناولني إياه كارلوس ، وهو الآخر قد شعر بالفضول حيال لوسي ، فبدأ قوله : " كيف عرفتِ أن لوسي قد تركتك ورحلت؟ ربما ذهبت إلى مكان ما وستعود "

" رأيت ذلك كارلوس ، رأيت ذلك من خلال كاميرات المراقبة "

" كاميرات مراقبة؟ " شعرت بذهول كارلوس من الأمر

" نعم كاميرات مراقبة ، وهي تعمل جيداً "

قال كارلوس : " حسنًا ماذا رأيتِ؟ "

" لوسي تخرج ومعها حقيبة سفرها و صديقها بيغ بوس من المبنى "

قال كارلوس وقد علت الابتسامة وجهه : " أوه بيغ بوس "

" هل تعرفه؟ "

" بالطبع "

" لا شك في ذلك "

لحظات صمت وهو يستعد للذهاب، ثم قال: " سأذهب إلى أصدقائي على الشاطئ هل ترغبين في الخروج؟ "

فكرت لمدة قبل الإجابة ثم اقتربَ كارلوس من الباب وقلت: " نعم أريد الذهاب "

19

في طريقنا الطويل إلى الشاطئ، سألت كارلوس عمَّن سيتولى أمر مرورنا من الجمارك بسلام في جامايكا في حين أن من سيتولى أمر دخولنا الإكوادور آيمي وليلي.

"بصراحة يا كرستن لا أحد"

"ماذا يعني لا أحد؟"

"لم أجد أحدًا يتولى أمر ذلك، أعتذر ولكن كل شيء سيكون على مايرام.. لا تقلقي"

"كيف لا أقلق!"

"لذلك أردنا أن نجعل مظهرك أنيقًا ولا يوحي بالريبة كرستن، ولكِ دورٌ كبيرٌ في ذلك"

متى ينتهي هذا الأمر؟ متى؟ متى؟ متى؟

***

بلغنا وجهتنا البعيدة عن محل إقامتي، فقد كان وقت الغروب عندما وصلنا وقد ترجلنا من السيارة والنسيم البارد يمر من بين خصلات

شعري، تقدم كارلوس أمامي ثم تبعته، ورأيت جماعة من الناس يتراوح عددهم ما بين 7 إلى 10 ويبدو أنهم أصدقاء كارلوس ملتفين حول نار مشتعلة، وتتعالى ضحكاتهم تارة وتنخفض أصواتهم تارة أخرى، تقدم كارلوس أكثر منهم.

حيا الجماعة كارلوس بحرارة النار المشتعلة قائلين: "جاءَ الوحش.. جاء الوحش"

ضحك كارلوس ثم قال: "أي نوع من المفاجآت قد أحضرتموه لي اليوم"

قالت فتاة سمراء تحمل في يدها سيجارة غير مألوفة لي: "بل أنتَ قُل لنا أي نوع من المفاجآت أحضرتها لنا اليوم"

كنا ما زلنا واقفين عندما قال كارلوس: "مفاجأة؟ هل تقصدون كرستن؟" وأشار كارلوس إليَّ ثم أكمل: "إنها صديقة عمل فقط لا غير"

قال أحد الجالسين: "صديقة عمل؟ أنتَ متأكد؟"

قال كارلوس: "ياصاح! أعطني ما لديك"

ثم أفسح الجميع لنا المساحة لنجلس، كنتُ أرى أصدقاء كارلوس في حالة غير عادية، الجميع يتمتمون بكلمات غير مفهومة ويضحكون

فجأة، وكانو يمسكون بسجائر كبيرة نسبيًا تختلف عن تلك العادية التي يشتريها الناس من المتاجر وأمام كل واحد منهم زجاجة خمر، كان من الواضح أنهم ليسوا في وعيهم، لذا لم أشأ أن أجلس معهم فهممت بالوقوف ونفض التراب عن ملابسي.

قالت إحدى الجالسات بجوار كارلوس: "ألا تريد صديقتك تجربة سيجارة ماريجوانا؟*" نظر كارلوس إليّ وكأنه يريد أن يأخذ مني إجابة.

قلت لها: "كلا.. أنا لا أتعاطى هذه المواد"

قالت الجالسة: "لمَ لا؟"

قال كارلوس: "دعيها، عليها البقاء يقظة" ثم همس لي ولكن بصوت مسموع نسبيًا: "فالقاعدة الأولى لتهريب الممنوعات هو ألا *الماريجوانا هي مادة مهلوسة مصنوعة من نبات القنب الهندي، يدوم مفعولها من ساعتين إلى أربع ساعات، بينما يتم تأثيرها مدى الحياة. يشعر المتعاطي بالاسترخاء، النعاس، الابتهاج والمرح ويميل إلى العزلة، الوحدة، بطء في التفكير واللامبالاة.

تتعاطاها"

تركزت قاعدة 'تهريب الممنوعات' في دماغي جيداً . وقبل أن أمشي بعيداً عنهم سمعت كارلوس يقول : "فرناندو! هذه هي الفتاة"

قال أحدهم ويبدو أنه المدعو فرناندو : "هذه هي؟"

تذكرت حينها كلمات لوسي الأخيرة قبل أن تغادر : ' أحبك كثيراً . . . أكثر مما تتصورين . . . حتى أكثر من فرناندو' ، ثم التفتُ أنا لأرى فرناندو ولكن لم أستطع أن أميز فرناندو فكان الجميع ينظر إليَّ بنفس النظرات، تجاهلتهم تماماً ولكنني ما زلت أسمع : "من أين هي؟" ، "لماذا هي هنا" ، "ماذا تقرب لك؟" .

مشيت بمحاذاة تكسر أمواج البحر على الشاطئ، وكنت سعيدة للغاية لا أعرف لماذا، كنت منذ صغري أحب رائحة البحر ورطوبة الجو قرب البحر التي تتخللها الملوحة .

لم أفكر بشيء . . فقط ظللت أتأمل البحر وغروب الشمس من جامايكا واللوحة الجميلة التي رسمتها السماء لنا من غيوم وردية تطفو في سماء حمراء مع آخر خيوط نور الشمس الذهبية التي تتلاشى شيئًا فشيئًا .

20

3 يناير 2006

الثلاثاء

كان ذلك هو اليوم الموعود، اليوم الذي سأقرر مصيري، الحرية أم لا.

استيقظت حوالي الساعة التاسعة صباحًا على صوت رنين هاتفي، التقطت هاتفي وإذا بـ "كارلوس" يتصل.

قال كارلوس: "صباح الخير"

"صباح النور"

"كيف حالك؟ هل أنتِ مستعدة؟"

"نعم.. ولكن هل سنذهب الآن؟"

"لا، سنغادر الساعة الواحدة فكوني جاهزة آنذاك"

"حسنًا"

ثم أغلقت الهاتف، وفور ما فعلت اتصلت بأمي.

"أمي؟"

" مرحبًا كرستن! لقد اشتقنا إليك متى سترجعين من إيطاليا؟ "

نعم، لقد كذبت على أمي وأبي وأخبرتهما بأنني سأذهب إلى إيطاليا من أجل السياحة، لا أريد أن أجعل أمري مشكوكًا به.

" سأحتاج إلى أسبوع آخر، ولكن لا تقلقي. . أنا سعيدة جدًا هنا ولو كان الأمر بيدي لأردت البقاء مدة أطول "

قالت أمي وهي تضحك بعفوية: " إذًا سنذهب معك في الرحلة القادمة "

تحدثت مع أبي أيضًا وأفرغت مشاعر الحب في الهاتف ثم أغلقته وأدركت أنني كذبت عليهما في أمر لا يستهان به دون أن يرمش لي طرف.

كنتُ قد طلبت من موظفي منضدة الاستقبال أن يرسلوا إلى غرفتي فطورًا، فأكلته ثم أخذت رزم الهيروين من على الطاولة و ضغطت عليها فكانت بودرة أصبحت متماسكة من سماكة الشريط اللاصق الذي يلفها.

أخذت الشريط اللاصق الذي أعطاني كارلوس إياه لألصق على جسدي رزم الهيروين الأربع، وضعتها على بطني وضغطت عليها لتبدو مسطحة أكثر، ولأنني نحيلة وطويلة فأرجو أن يقوم ذلك

الفستان الصيفي الفضفاض بعمله جيداً .

كان هناك صعوبة كبيرة في تثبيت الرزم جيداً على بطني ولكن الصعوبة الكبرى كانت في التأقلم معه من ناحية المشي، فكنت أبدو كالبطريق .

لبست ملابسي، و وضعت الحليّ من أقراط وقلادة وسلاسل، صففت شعري بطريقة مرتبة ووضعت في وجهي مساحيق التجميل التي ستبرز جمالي المفقود .

وضعت داخل حقيبة يدي هاتفي وماء ومحارم ورقية وجواز سفري وتذكرة سفري والمال، وقد أغلقت حقيبة سفري وركنتها بجانب الباب، وأصبحت جاهزة من جميع النواحي، إلا من الناحية النفسية .

لكن قد رفعت معنويات نفسي بعد أن ارتديت نظارة شمسية وقبعة صيفية ورأيت نفسي في المرآة، وكنت أبدو أنيقة جداً، وهذا يكفي بأن يرفع معدل سعادتي لأنني لم أعتد رؤيتي بهذا الشكل .

***

اتصل بي كارلوس الساعة الواحدة كما اتفقنا، وقد خرجت ورأيت سيارته وهو بالقرب منها، فور أن رآني أخذ حقيبة سفري من يدي ووضعها داخل صندوق السيارة وأنا دخلت إلى السيارة .

21

في طريقنا إلى المطار تحدث كارلوس إليّ وكان يلقي النصائح .

قال كارلوس : "هل تشكل الرزم عائقًا على مشيتك؟ "

" كلا ، لقد تمرنت على المشي بها ، لاتقلق "

" المهم في الموضوع ألا تثيري الشك ، وإذا ذهبتِ إلى طابور ما أو اضطررتِ إلى الانتظار فاعبثي بأي شي . . بهاتفك بحقيبتك ولكن لا تنظري في وجوه العساكر أو الموظفين في المطار مباشرة . . فقط ابتسامة ولا أكثر ، كوني لطيفة مع من يسألك عن الرحلة وعن السبب وستكون الإجابة مباشرة وجادة كـ . . "

" زيارة عائلية ! "

" نعم نعم ، وسأخبرك شيئًا هامًا ، لا تحاولي أو تفكري فى الهرب لأنك تحت أعيننا دائما يا كرستن "

" لا . . لن أحاول الهرب "

قال كارل بصرامة : "لن تفكري ! "

" كانت مجرد مشاعر عابرة، كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي "

" هل تقصدين رحيل لوسي؟ أنتِ فقط تبالغين "

" انا لا أبالغ ! "

" هل تحزنين لأنك فقدتِ أقرب صديقة لك؟ ! "

" كلا! أنا حزينة لأنها كانت دائمة القول: 'ثقي بـي' وعنـدما وثقـت بها . . . حدث ما حدث "

" الأصدقاء يرحلون ويأتون ستصادفين صديقة جديدة بعد رحلتك "

" وكيف لي أن أثق بصديقة أخرى بعد ما خلفته لوسي من جرح غائر في نفسي "

" ستتجاوزين هذه الصدمة "

22

وها نحن ذا أمام بوابة مطار نورمان مانلي الدولي، ثم دخلت وكانت البداية نقطة جمارك عند الباب، ولكن لم يكن الموظفون يفتشون المسافرين تفتيشًا يدويًا، بل فقط يمرون عبر جهاز كاشف المعادن، ولكن مع هذا كنت أشعر بأن جميع الذين في المطار يعرفون أنني أحوز الهيروين، وكنت أهدئ من روعي وأنا أقول إنني حال نزولي في الإكوادور لن أقلق على شيء لأن آيمي وليلي ستتوليان أمر تفتيشي.

كنت أنتظر في صَف قصير، التفتُّ إلى الوراء حيث البوابة فرأيت كارلوس ينظر إليّ وفي يده هاتفه وكأنه يجري اتصالاً، نعم كارلوس يراقبني لكي لا أهرب ولكن لا بأس؛ فهذا من حقه.

جاء دوري فأحسست بقشعريرة تملكتني، انتابني القلق والخوف ولكنني سيطرت على نفسي، فكانت ابتسامة الموظفة التي تدير هذه النقطة مريحة جدًا، وضعت حقيبتي في جهاز الأشعة السينية ومررت عبر جهاز كاشف المعادن، ثم تقدمت وأخذت حقيبتي وهممت بالذهاب إلى قسم تسجيل الدخول للطائرة بكل سلام ودون خوف ولكن...

قالت إحدى الموظفات: "سيدتي، تقدمي لتفتيشك تفتيشًا يدويًا"

فجأة أحسست بأنني أستطيع سماع صوت الدم في أذني يتجمد، وكأن قلبي قد سكَن وتوقف عن الخفقان، التفتُّ ببطء وتقدمت لها ببطء أكثر ثم رفعت ذراعي بمحاذاة أكتافي، ثم وضعت الموظفة كفيها على كتفي وكنت أتامل نظراتها التي لا أستطيع أن أتلمس منها إلا الجِد والحَزم في عملها، كنت قلقة وكنت أخشى أن تشي بي نظراتي المريبة وتجعلها توقن بأنني أحمل مواد ممنوعة، ثم تناقلت يدها بين ذراعي ثم ربتت على حواف بطني ولو ربتت بقدر سنتيمتر أقرب لكشفت أمري!

انتهت الموظفة من تفتيشها وتنفست الصعداء، ثم توجهت إلى قسم تسجيل الدخول للطائرة.

مكثت أنتظر دوري أيضًا، وعملت بنصيحة كارلوس وانشغلت بهاتفي المحمول كنتُ أمر عبر سجلات الاتصال والرسائل النصية وأستوديو الصور. . كنتُ أنظر إلى صور عائلية لي ومارك، و لأمي وأبي، فقد اشتقت إليهما فعلاً رغم أنه لم يمر إلا ثلاثة أيام منذ أن أتيت إلى هنا، وكان أشد أملي أن أحصل على رسالة من لوسي.

كان قد جاء دوري أيضًا فوضعت حقيبة سفري ليتم شحنها عبر الطائرة إلى الإكوادور، لا أعلم لماذا يخالجني شعور بأنهم يعرفون. . أزعجني ذلك كثيراً، نظرات الموظفين مختلفة، نظرات المسافرين

مختلفة، حتى عمال النظافة نظراتهم مختلفة!

سألني الموظف: " لماذا جئت إلى جامايكا "

لا أعرف لِمَ هذا السؤال يتراود في ذهن موظفي المطار! لِمَ يريدون أن يعرفوا؟ ألَا يكفي أنني متوترة بما فيه الكفاية!

بدأت يداي بالتعرق ثم نسيت تمامًا ما قاله لي كارلوس فبدأت بالتأليف: " فـ فـ في الواقع أنا أكتب رحلاتي حول العالم في كتاب "

" هل لي أن أعرف المحتوى "

" محتواه بسيط يشمل مذكراتي حول العالم "

" أنا مهتم جدًا بالسفر فهو . . . " بدأ الموظف بالكلام عن السفر وتظاهرت وكأنني أعيره اهتمامًا، ولكن في الواقع عكس ذلك فكل ما أفكر به ما أخبئه.

بعد ذلك توجهت إلى منضدة ختم الجوازات وهي المحطة قبل الأخيرة حيث هناك حاجز تفتيش لابد من المرور به في جامايكا.

تجربتي السابقة خففت من توتري، تقدمت إلى صَفّ الحاجز الأمني ، وكالعادة يداي وحتى أنفاسي ترتجف وكان ذلك مبالغًا فيه لدرجة أن حلقي جف تمامًا كُنت فعلاً أحتاج أن يكون أحد بجانبي، أن يخفف من

توتري، كنت دائمة التفكير في لوسي، فأنا حتى بعد أن خانت الثقة بيني وبينها ما زلت أملك مشاعر تجاهها لأن رحليها كان غامضًا ولا أستطيع ان أظلمها، فربما فعلت ذلك لأمر ضروري، ولكن لماذا لم تتواصل معي بعد ذلك؟

كان كل شيء على ما يرام قبل أن أحس بسيلان بودرة على رجلي! كان ترتيبي في الصَفّ الثاني وسيكون خروجي مريبًا وأمرًا مشكوكًا به، ولكنني بدأت أستوعب نتائج ما يسيل على قدمي وقد أحسست به بين أصابع قدمي! نظرت إلى اليمين واليسار وكان الحمام هو مخرجي الوحيد من هذا المأزق، توجهت وبلا إحساس إليه محاولةً عدم إثارة الشك وجعل حركاتي ومشيتي كالآخرين، الغريب في الأمر هو أن كل شيء عادي وجميع الناس عاديون والأمر يسير على طبيعته ولا شيء غريبًا ولكن في نظري أنا وبصفتي شخص يهرب مواد ممنوعة الأمر يختلف تمامًا.

ذهبت إلى داخل أحد الحمامات وتنفست تنفسًا عميقًا قبل أن أفكر بإزالة الرزم تمامًا ونسيان كل ما حدث وكأنه لم يحدث، ولكن كنت أواجه صعوبة كبيرة في إزالة الشريط اللاصق القوي وكنت احتاج إلى مقص وحتى إذا أزلتها ولم أحضرها الإكوادور سينفذ كارلوس تهديداته بقتل عائلتي؛ لذا فإن حل المشكلة حلاً جذريًّا لن يجدي نفعًا

وسأركز على المشكلة الأساسية الآن . . . وهو ثقب اكتشفته في إحدى الرزم . كان صغيراً ولكن إن لم أسده سيكبر وسيفتضح أمري . بحثت في حقيبة يدي عن شريط لاصق ولكن لم أجد ؛ لذا قررت أن أسد الثقب بشيء صلب ، فأخذت محارم ورقية وشكلتها على شكل مخروط ووضعتها داخل الثقب ، ثُم اختبرت الرزمة فضغطت عليها ولاحظت انحباس الهواء في الداخل . وهنا أحسست بماء مثلج قد صَب على رأسي فقد كانت مشكلة وانتهت .

ثم ذهبت إلى الحاجز ووضعت حقيبة يدي ومررت عبر جهاز كشف المعادن وكان قد مر الأمر سريعًا من تجربتي السابقة ، وقد اعتدت على رؤية النظرات غير العادية التي هي في الواقع عادية ! يزعجني الأمر ! يزعجني جداً الشك !

ولكن أسعدني فعلاً أنني قد اجتزت الحاجزين الأمنيين دون أي خطأ يذكر ، ولن أقلق بعد الآن وصاعداً في الإكوادور لأن من سيتولى تفتيشي بعد الآن هُما آيمي وليلي وهنا شعرت بالأمان .

عندما حان وقت إقلاع الطائرة نظرت نظرة مطولة إلى النافذة علمًا بأنني سأشتاق إلى جو كهذا ، ركبت الطائرة وودعت جامايكا وطبيعتها الخلابة والآن الى الإكوادور .

23

التوقيت المحلي في الإكوادور لا يختلف عن التوقيت المحلي في جامايكا، وسوف أصل إلى عاصمة الإكوادور 'كيتو' خلال ثلاث ساعات.

وعلى عكس ما هو متوقع، مقاعدي ليست في درجة رجال الأعمال، بل آخر مقعد في الدرجة السياحية. أخبرتني لوسي – قبل أن تذهب – العديد من مميزات رحلتي مثل فندق ومنتجع خمس نجوم ومقاعد في درجة رجال الأعمال ولكن لم يتحقق أيّ منها، على أي حال لا أعرف ما هو قادم لربما تكون المتعة في الإكوادور بعد التخلص من الرزم التي أحوزها بسلام.

جلست بجانبي فتاة وكانت مألوفة جداً بالنسبة لي، كان شعرها أشقر وترتدي ملابس شبيهة بملابسي ولكن ألوانها تختلف، كانت طويلة القامة وهزيلة الجسم ولكنها جميلة جداً وقد صففت شعرها بطريقة مرتبة وأنيقة.

بطريقة ما ارتحت لها وشعرت بالأمان، وسرعان ما أردت أن أتحدث معها، فالشعور بالغربة مؤلم جداً والصدمات التي تعرضت لها خلال

رحلتي تحتاج للنسيان .

عرفتُ من خلال حديثها أن اسمها كلُوي وأنها تعيش غرب لندن! أي نفس منطقتي وإنها ستذهب إلى الإكوادور لأنها تريد أن تأخـذ إجـازة ثم ترجع إلى الديار .

هذا شيء غريب! صدفة غريبة فعلاً . تعيش كلوي في لندن وقد ذهبت إلى جامايكا وستذهب إلى الإكوادور وهي تجلس في نفس الطائرة الـتي ستقلنا إلى هناك وبجانب الكرسي الـذي أجلـس عليـه وترتـدي نفـس ملابسي! هذا شبيه بمخطط رحلتي تمامًا!

أخبرتها بالمصادفات وقالت : "هذا غريب فعلاً" ثم غيرت الموضوع، بدأت تتحدث عن جامايكا وكيف هي في فصل الشتاء ولم أكن فعـلاً منتبهة لما تتحدث عنه فكان يدور شيء واحد في بالي .

قاطعــت كلــوي وأنــا أحــدق في عينيهــا الفــاتحتين "هــل تعــرفين كارلوس؟" ، وقد ترددت كلوي ووهلت نفسها بعض الوقت وكنت أستطيع أن أرى في عينيها الواسعتين الدهشة من اتساعهما . لم يطرف لنا جفن .

قالت ببطء شديد ولم تُزل نظرها عن نظري : "نعم أعرفه"

سألتها بحماس وما زالت عينانا متصلتين : " كيف يبدو؟ "

قالت كلوي : " إنه طويل وهزيل البنية وإن بشرته سمراء وعيناه . . "

قاطعتها : " جاحظتان؟ ! "

قالت كلوي بحماس : " نعم! "

قربت يدي من بطنها وأعطيتها دفعة خفيفة وكانت المفاجـأة أن بطنهـا صلب! نظرت إليها ثم رأيت ملامح الخوف والهلع في وجهها .

قلت لها وانتظرتها تُكمل بنفسها : " إنه . . ! "

قالتها وهي تخفي القلق من على وجهها : " أنا أتمرن لعضـلات الـبطن منذ أشهر "

قلت لها وأنا أحمل معاني كثيرة في عينيَّ : " أظن أنني أعرف تمامًا ما هو هذا الشيء " وبصراحة لم أتوقع أن يكون رد فعلي تجاه كلوي وبطنهـا الصلب بهذه الصرامة! لم أتوقع ذلك أبدًا مني!

قلت لـ " كلوي " بهَمَس : " هل هذه . . . بضاعة "

" أجل ولكن أرجوك كرستن "

" لا بأس لن أخبر أحدًا "

كانت كلوي مرتبكة جداً ومتوترة وكأنها تخاف أن أطالبها بالمال على كتمان ما تحمل؛ لذا وبسرعة أرادت أن تجعل هذا الموضوع يقودنا لموضوع مضحك أو للمزاح.

قالت مازحة: "ماذا عنك؟ هل تتمرين مثلي للحصول على عضلات بطن؟" وتلتها ضربة قوية على بطني وبالتحديد مكان الرزمة. نظرت إليها ثم قالت وكأنها اكتشفت شيئًا عظيما وأنقذ حياتها: "أنتِ أيضا!" واستطعت أن أستشعر براحتها النفسية فنحن متعادلتان.

أخذت أتأمل في ملامح كلوي فأنا واثقة بأنني التقيت بها من قبل، إلى أن أخذتنا الأحاديث إلى يوم مقابلة كلوي للعمل.

قالت كلوي: "لقد رأيتك قبل اليوم مرة"

"وأنا كنت أحس بأنني رأيتك قبل ذلك!"

"عندما كنت في ذلك المتجر؟ أقدم طلبًا للحصول على وظيفة؟"

"صحيح! عندما كُنت أريد أن أعرف ما إذا قد قُبلت للوظيفة أم لا"

لقد ذُهلت وهذا يُفسر الكثير! لربما ذلك المسئول عن المقابلة هو المسئول فعلاً عن شركة ترويج المنوعات! ولكنني لا أريد أن أتعمق في معرفة علاقتهم بالممنوعات!

24

5:50م

مطار مارسكال سوكري، كيتو، الإكوادور

ها قد وصلنا إلى الإكوادور، وأنا الآن في مرحلة مطمئنة فيها بسبب آيمي وليلي الموظفتين اللتين تعملان في جمارك هذا المطار هنا.

كان المطار صغيراً جداً وكان يقع في وسط العاصمة المزدحمة 'كيتو'.

أمسيت سعيدة جداً لأننا قررنا أنا وكلوي أن نبقى مع بعضنا البعض لأنها أيضًا اتفقت مع آيمي وليلي وسوف نذهب إلى نفس الفندق. اعتبرت كلوي بديلة لوسي لأنها تعرف التصرف وتتولى القيادة.

توجهنا إلى أول حاجز أمني وإحساس الخوف دائمًا يطغي على السعادة، وقد زاد الخوف عندما اقتربنا من النقطة ولم نجد أيًّا من آيمي أو ليلي! وقفت على رءوس أصابعي أتطلع في وجوه العساكر ثم نبهتني كلوي بأن ليلي – الفتاة السمراء – هناك وقد قلت في نفسي نعم! الخطة تنجح! وكانت نقطة التفتيش هذه عبارة عن عدة أجهزة كشف معادن وعلى جانبها جهاز كاشف الأشعة السينية، وكانت طريقة التفتيش يدوية كما أخبرنا كارلوس في المطعم.

ذهبنا إلى ليلي وكانت كلوي الأولى، رأيت حجم ابتسامة ليلي وكأنها تقول 'اعرف كل شيء' ومررت ليلي بلا اكتراث يدها حول كلوي، ثم تقدمت وتنفست الصعداء ووضعت حقيبتي داخل جهاز كشف الأشعة السينية ثم إبتسمت لـ ليلي ثم بادلتني الإبتسامة وكأنها لا تعرفني ثم قالت : " كيف حالك كرستن؟ "

قلت لها متحمسة : " بخير " قامت بتفتيشي دون أكتراث أيضا ثم قالت : " استمتعي في الإكوادور عزيزتي "

ابتسمت لها قائلة : " شكرا لكِ "

عبرت النقطة ثم التفتُّ إلى الوراء لأعرف ما هو انطباع ليلي عنا، وكانت لا تزال تراقبنا وهي تبتسم ابتسامة مريبة. ولكن هذا لا يهم! بقيت خطوة أخيرة وننجح!

مشينا بعد ذلك إلى قسم استلام الأمتعة. لم ننتظر طويلاً أخذنا أنا وكلوي حقائبنا ووضعناها على حامل الامتعة.

وذهبنا إلى الحاجز الأمني الذي سيغير مجرى حياتنا تمامًا، كنت أكاد أن أصرخ من السعادة ومدى إحكام الخطة وأصبحت أفكر فيما سأفعله بالعشرين ألف باوند! سأنتقل إلى مدينة جديدة وسأشتري بيتًا جديدًا

فيه حديقة خلفية وأولادي يلعبون في حديقة المنزل بينما أزرع الورود في الحديقة. مهلا، لوسي قالت لي هذا الكلام أيضا! وكأنني نومت مغناطيسيًا فكان رد فعلي تجاهها حادًّا فقلت لـ لوسي: "هل أهرب الممنوعات من اجل زراعة ورود في الحديقة؟"

فعلاً، هل هذا يستحق؟

25

توجهنا مباشرة إلى الحاجز الأمـني الأخيرالـذي يليـه بوابـة الخـروج، وكنت أجر أنا عربة الأمتعة إلى أن وصلنا وكان الحاجز لا يختلف كثيراً عن السابق، وقد لاحظنا وجود آيمي سارعنا إليها ووضعنا حقائبنـا في جهاز الأشعة السينية.

وقفت كلوي لتفتشها آيمي يـدويًا وابتسـمت كلـوي وردت آيمـي لهـا الابتسامة لها مما يعني أننا في مأمن وسننتهي من هذا بسـهولة، ومـا أن بدأت آيمي التفتيش حتى فوجئت بما سمعت!

قالت آيمي بصرامة وهي تعطي دفعة قويـة إلى أكيـاس الهيرويـن فـوق بطنها: "ما هذا؟"

هنا تجمد الدم في رأسي وتوقف للحظة قلبي عن الخفقان

هَمَسَت لـ آيمي: "آيمي، إنها أنا كلوي!" وتَوَسَلَت إليها وهي لا تريد أن تشد انتباه الآخرين

قالت آيمي مغمضة عينيها وكأنها لا تريد أن تسمع شيئًا: "قفي هنـاك سيدتي" وأشارت إلى الجدار ثم أشارت لي بالتقدم وأدركت أنني أنـا التالية، اتسعت عيناي لهول المنظر! نظرت إلي اليمين واليسـار أبحـث

عن مخرج أبحث عن حمامات ولكن لا يوجد! رأيت العساكر يحملون مسدساتهم ورشاشاتهم وكأن فوهة أسلحتهم تنظر إليّ.

قالت آيمي: "تقدمي سيدتي ولا تؤخري الباقين"

تقدمت بخطوات ثقيلة جداً ورأيت فقدان الأمل يعتلي وجه كلوي، ابتسمت لـ "آيمي" لربما تشفق عليّ وابتسَمَت لي أيضًا، ثم وضعت يدها على كتفاي وكنت أتصبب عرقًا وأرتعش بكل حواسي، كنت أحس بأن أي صدمة ستحصل لي الآن سيغمى عليّ، كنت فقط أريد أن أغمض عينيَّ وأستيقظ من هذا الكابوس ثم دفعت آيمي بطني وأدركت حينذاك أنها النهاية بلا محالة.

26

قالت آيمي ونحن مستندتان إلى الحائط : "أنتما الاثنتان مشكوك بكما" وكان الموقف محرجًا لأن الناس كانوا يتطلعون لمعرفة سبب وقوفنا عند الحائط .

قلت وفي صوتي رجفة و أكاد أن أبكي : "آيمي ، أنا كرستن هل تذكرينني؟ لقد قابلتك في المطعم الأمريكي في جامايكا ، نحن متفقون معك! " .

في وسط توسلاتنا كانت آيمي تتكلم في الهاتف اللاسلكي الخاص بها وكان يصدر تشويشات غير مفهومة .

قالت آيمي : "أنا فعلاً لا أكترث" ثم أردفت : "وليلي لا تكترث وكارلوس أيضًا لا يكترث" ثم ضحكت ضحكة مستفزة تعلن عن انتصارها .

شعرت بالسكون في جسمي وفي رغبة شديدة في الصراخ ، تخيلت نفسي أنقض عليها و أقتلع عينيها وأضربها بقبضة يدي التي شددت عليها ، كنت أشعر بالجفاف في عيني وفي حلقي وكنت أقول في نفسي إن كل شيء قد انتهى!

و أدركت فعلاً أن كل شيء قد انتهى عندما رأيت مجموعة من العساكر وقد تكلمت معهم آيمي باللغة الإسبانية (وهي اللغة الرسمية

في الإكوادور) ثم رحلت في الأفق وكانت هذه آخر مرة أرى آيمي فيها، أمسك شرطيان بي وكنت أنا في الأمام وآيمي في الخلف وكنا نسير أمام الناس وكان ذلك أسوأ موقف أمر به في حياتي، كان الجميع مرّ بي ينظرون إلينا باشمئزاز وهنا شعرت أنني مجرمة، أصبحت مجرمة رسمياً!

وصلنا إلى مكتب رقم 9، فيه كراسي وممر آخر خلف هذا المكتب ثم طُلب منا الجلوس، كانت هناك أمراة سمينة من الواضح أنها مديرة التفتيش، كانت حقائبنا الكبيرة هناك أيضًا وموضوعة على الطاولة الجانبية.

قالت مديرة التفتيش شيئًا باللغة الإسبانية ثم نظرنا إليها بحيرة فنحن لا نجيد الإسبانية، ثم قالت إحدى مساعداتها شيئًا آخر بالإسبانية ثم أشارت إلى الجواز الخاص بنا.

قالت مديرة التفتيش بلكنة إنجليزية ركيكة: "هل تتحدثان الإسبانية؟"

قالت كلوي وأستطيع أن التمس الرعب من موجات صوتها: "لا سيدتي"

"حسنا، أنتما موقوفتان بسبب الشك بكما لذا اسمحا لمساعداتي بتفتيشكما" ثم أضافت: "وضعا جميع أغراض حقيبة اليد الخاصة بكما على الطاولة"

أخرجت محتويات حقيبتي وكان فيها هاتفي ومحارم ورقية والمال، ثم تم إخضاعنا – أنا وكلوي – إلى تفتيش يدوي دقيق وصارم وقلت في نفسي لا داعي للخوف فقد استسلمت للأمر الواقع وقد تم إزالة الرزم عن جسمي وبعد أن حسبوا وزن الرزم– كيلو جرامين – أخذت المديرة بالضحك ومساعداتها كذلك وكأنهم قد عثروا على الكنز وقد جاء عدد من العسكريين والعاملين في المطار ليشهدوا على هذا الجريمة القبيحة التي تم ارتكابها بواسطتي أنا!

مزقت مديرة التفتيش أحد اكياس الهيروين ووضعته داخل كأس مختبر وكأنها ستجري تجربة كيميائية، فهي ستضع عينة من البودرة داخل الكأس مع مادة لإثبات ان هذه المادة هي نوع من الممنوعات، وإنَّ تحول المحلول إلى اللون الأزرق فهذا يعني شيئين: الأول أن هذه المادة هي هيروين والشيء الثاني هو أن مصيري سيكون السجن في أمريكا الجنوبية أي ما يسمى بالجحيم.

قبل أن تضع البودرة داخل الكأس اشتمتها وعبرت عن سوء نوعها أو جودتها من خلال حركات وجهها، ثم أكدت بالقول: "يا فتاة لقد أضعت حياتك من أجل هذه المخدرات الرخيصة" ثم وضعت البودرة داخل الكأس وكانت أبسط أمنياتي أن تكون البودرة – الرخيصة – كلوريد الصوديوم أو بودرة أطفال عادية.

إنها هيروين .

ثم تعالت الضحكات بشكل أكبر وهذه المرة مع التصفيق والابتسامات وكانوا فخورين بأنفسهم، ثم أحضر أحد العاملين في المطار آلة تصوير، ثم قال لنا – أنا وكلوي – وكنا جالستين على مقاعد خشبية أمام الطاولة التي وُضعت فيها الرزم: "ابتسما فستصبحان مشهورتين" ولكن مع وميض إنارة آلة التصوير البيضاء انهمرت دموعي ودفنت وجهي في كفيَّ في وسط ضجيج من الضحك والتصفيق والكلام الكثير بالإسبانية ثم تحسست يداً تقوم بالتربيت على كتفي ثم نظرت إلى مصدر اليد وكانت كلوي، نظرت إليها ووجهي مُحمر وأنا أنطق كلمات لها دون صوت بشفتيَّ: "لم ننجح" .

ثم انهمرت دموعي أكثر وأكثر عندما تذكرت عائلتي! أمي وأبي سيخيب أملهما عندما يعرفان أن أبنتهما الوحيدة مهربة المخدرات وهي ستسجن في أحد سجون أمريكا الجنوبية! أما مارك، فإنني لا أعرف تماماً رد فعله كيف سيكون، بسبب تلك الرسالة الغامضة التي أخذت تتراءى أمامي في الخيال: " إلى اللقاء يا مهربة المخدرات" .

27

نُقلنا إلى أقرب مركز شرطة من مطار مارسكال سوكري الدولي، كنت أرى من خلال النوافذ الإكوادور وجمال طبيعتها فكان ذلك وقت الغروب ، فهي تقع في غرب أمريكا الجنوبية وتشرف على سواحل المحيط الهادئ.

كانت كلوي تنظر أيضا إلى النافذة وهي تحبس دموعها في عيناها وكلتانا لم تتوقع ذلك.

نُقلنا مباشرة إلى مكتب جدرانه داكنة ولا يوجد بها إلا مصباح أبيض معلق في السقف ثم جلسنا أيضا أمام مكتب يجلس عليه رجل يكتب شيئًا ما على ورقة، وعلى الطاولة كانت الرزم الأربع وأغراض حقائبنا، وكان جو الغرفة كئيبًا بشكل لا يحتمل.

بدأ أولاً الرجل بالكلام معنا بالإسبانية وكأنه يطرح أسئلة مستفزة ولكننا كنا لا نفهمه لذا تسمرنا في مكاننا نحدق في وجه هذا الرجل، ثم بدأ بالصراخ علينا وانتفضت أنا في مكاني، كنت أعرف من أسلوبه بأنه يقلل من قيمتنا أمام الشرطيين اللذين كانوا معنا في الغرفة، ثم قال له أحدهما شيئًا بالإسبانية ثم قال الرجل: "أوه، إذًا تتكلمان الإنجليزية؟" ثم قال: "هل أنتما . . . " وبدأ يقلد حيوان الكنغر ويستخدم هذه الحركة كحركة استفزازية، ثم بدأ الرجل بالضحك هو والشرطيان.

قالت كلوي : " لا " ثم أردفت : " نحن من بريطانيا كما هو مكتوب على جوازي سفرنا " وكأنها تريد أن تظهر غباء الرجل

همهم الرجل ثم قال : " هل تعرفان أي نوع من الجرائم ارتبكتماها؟ "

زفرت كلوي وهي تدير عينيها : " هل من المفترض أن نجيب عن هذا السؤال؟ "

تجاهل الرجل كلامها ثم قال : " أو هل لي أن أسأل ما الذي سيحصل إذا وطئت هذه الرزم أرض بلادي " صمت قليلاً ثم أجاب عن نفسه : " كم عدد الناس الذين سيتضررون من هذه المادة القذرة؟ كم واحداً سيصبح مدمنًا؟ كم واحداً سيموت؟ كم عائلة ستموت حسرة على أطفالها وشبابها؟ إن شباب وأطفال الإكوادور هم أطفالي وأنا الآن ساهمت في وضع حد لانتشار الفساد " ثم قام بإطالة النظر إلى الرزم الموجودة ثم أكمل بالإسبانية وهو يحدق بالسقف : " سَالڤ أو باتريا لقد نجحت أنا بينما خسرتما أنتما ، نجحت في وضع الحد الفاصل بين مجتمعي والفساد " قالها وهو يوجه سبابته إلينا ثم استرسل بالكلام : " لقد حميت مجتمعي وأفراده سواء كانوا أطفالاً أو شبابًا أو كباراً من خطر محتم ، والآن لنبدأ بالتحقيق للتخلص من البقاء

* (تحية لك يا وطني الام) (وهو مقتطف من النشيد الوطني الإكوادوري)

معكما "

كنت أرى على وجه كلوي الغضب والرغبة بطعن المحقق فكانت العروق التي في جبهتها واضحة وبارزة وكنت أتمنى في داخلي ألا تفعل شيئًا يثير غضبه هو الآخر.

إلى من أحضرتما هذه الكمية من الهيروين؟ " ثم نظر مباشرة إلى عين كلوي الحادة "

أطلقت كلوي ضحكة استفزازية ثم سألت سؤالاً بقصد الاستهزاء : " لأفراد مجتمعك الذين تحميهم "

نظرت إلى كلوي بدهشة وكنت أقول في نفسي : " لا يا كلوي لا تحاولي التذاكي على هذا التافه " وفي المقابل ضحك المحقق وضحك من معنا في الغرفة . . ثم اقترب المحقق منها ونظر أيضًا مباشرة إلى عينيها وهمس : " لا تحاولي ولا تفكري ابدًا بالتهكم على من لهم سلطة أكبر منك "

لو كنت أنا مكان كلوي لأصابتني سكتة قلبية من هول المنظر . رجع المحقق إلى مكانه وأكمل : " أريد جميع الأشخاص الذين شاركوا معكم في هذه العملية القذرة منذ البداية"

كنت غير متأكدة من الوشي بهم، فبعد أن نخرج من السجن لا نعرف بالضبط كم عدد أفراد شركتهم أو عصابتهم ويمكن أن يكونوا خطراً

بعد الخروج من السجن، ولكن كلوي لم تهتم وشرعت تقول: " جيم بولاسكي، كارلو. . . "

قاطعها المحقق: "على مهل، أريد معلومات كاملة عنهم "

وقبل أن تنطق كلوي أصدر هاتفي الموضوع على الطاولة نغمة تشير إلى أنني تلقيت رسالة من أحد ما، نظرت إلى المحقق فكنت أريد أن أعرف ما إذ بإمكاني أن أرى الرسالة أم لا، وبحركة سريعة أخذت هاتفي ومسكته بكلتا يديَّ ولم يقل أحد شيئًا بل كان يبدو عليهم الترقب لمعرفة ما الذي تحتويه الرسالة:

أنا آسفة كرستن

لوسي

تغيرت ملامح وجهي فوراً! وقلت بلا وعي: "ماذا؟ "

وضعت هاتفي على الطاولة وأغلقته. أحتاج تفسيراً حقيقيًا لهذا الأمر، أحتاج تفسير حقيقيًا الآن! إذاً لوسي التي التمست لها جميع الأعذار التي تخطر على بالي، تنصب لي فخًا؟ هل هذا فخ؟ وكيف فعلته؟ ماذا استخدمت؟ ولكن بالأحرى لماذا فعلته؟

"جيم بولاسكي قد حرضني على تهريب الهيروين ونظم الاتفاق بيني وبين. . " كانت هذه آخر جملة قبل أن أمسك الهاتف وأكسره على

الأرض ليسارع الشرطيان بربط يديَّ بالأغلال الحديدية .

"لابد أن ما رأيتِه يا كرستن في هاتفك قد أثار غضبك ، أخبرينا"

قلت بحدة : " هذا لا يهم "

" حسنًا كلوي . . أكملي "

أستغرقت كلوي وقتًا أطول لاستيعاب ما حدث وحدقت بي ، ثم قام المحقق بالطقطقة على الطاولة بقلمه : " أكملي يا كلوي ، أريد ان أكتب المعلومات وأنتهي "

تلعثمت كلوي قبل أن تقول : " أين كنا؟ "

رفع المحقق من صوته تدريجيًا بغضب : " نظم الاتفاق . . "

قاطعته كلوي ثم قالت : " نعم نعم . . نظم الاتفاق بيني وبين الشركة التي تصنع الهيروين ، ونظم رحلة لنذهب مع بعضنا البعض عندما وصلنا إلى جامايكا اختفى وأرسل لي رسالة اعتذار "

هنا اتسعت عيناي ، هذا مافعلته لوسي للتو وكانت تدور في رأسي فكرة مترددة في فعلها .

" وماهي علاقتك بـ " جيم بوسلاكي " ؟ "

" كان مجرد صديق مقرب ، منذ سنوات "

" حسنًا ومن أيضًا؟ "

" هناك أحد لا أعرف اسمه ولكن أعرف كنيته "

" أريد جميع المعلومات كلوي "

" ينادونه "بيغ بوس" وهو ضخم البنية اتجه صديقي جيم بولاسكي إليه ليأخذ ظرفًا ما وذهبنا إلى المطار وكان هذا في بريطانيا أي قبل ذهابنا إلى جامايكا والإكوادور "

تدخلت أنا قائلة : " هذا بالضبط ما حدث معي "

قال المحقق : "وأنتِ يا كرستن . . هل تعامل معك جيم بولاسكي أم أحد آخر " "

كنت على وشك أن أفعل الفكرة التي تدور في بالي وهي أن أشي بـ " لوسي " ولكنني كنت مترددة لا أستطيع أن أشي بصديقة طفولتي وهي بالذات تعرف جميع أقاربي وأين أسكن وجميع المعلومات التي تخصني لذا سيكون الوشي بها خطرًا يهددني .

قلت بهدوء : " لا حضرة المحقق "

" حسنًا يا كلوي؟ "

" وشخص آخر يدعى كارلوس وقد تعاملنا معه في جامايكا ، وهو تولى أمر إحضار الهيروين لنا لنلصقه على أجسامنا ، كان أسمر

وهزيل البنية وجاحظ العينين "

لابد أن كلوي مغتاظة جداً منهم وسوف تشي بهم فرداً فرداً .

" وموظفتان في المطار آيمي وليلي قالا لنا أنهما سوف تساعداننا في عبور نقطة الجمارك ولكن لم تفعلا ، وكنا قد اتفقنا في جامايكا "

اندهش المحقق قائلاً " آيمي وليلي ؟ "

" نعم . . لقد عقدنا اتفاقًا معًا "

" هذا أعتبره حماقة منكما بأن تثقا بعامل في المطار لتهريب الممنوعات ! فنحن لدينا سياسية خاصة تقضي على كل من ساعد في تهريب الممنوعات سواء عامل في المطار أو من عامة الناس "

" ولكن آيمي جعلتنا نعبر النقطة الأولى ! "

" لا أستطيع ان أصدق ذلك "

تدخلت أنا للوشي بآيمي قائلة : " نعم آيمي ساعدتنا ! "

وجه المحقق لي الكلام : " أنت تصمتين " ثم قال : " لا تحاولا أن تفقدا أي عامل في المطار عمله بسببِ فعلتكما الرديئة ! "

" الآن ، ولأنكما قدمتما للشرطة معلومات مفيدة سنحاول أن نقلص مدة حبسكما ، وستصلكما رسالة من المحكمة عن مدة حبسكما

والآن أريد توقيعكما على هذه الورقة "

قرأت الورقة ولكن لم أفهم شيئًا فكانت الكتابة بالإسبانية .

قال المحقق : "هيا وقعا! "

قالت كلوي : "ولكننا لا نعرف ما المكتوب هنا، نريد مترجمًا "

قال المحقق : "اختصاراً للوقت هذه ورقة اعتراف بتهريب الممنوعات" وقعت كلوي دون تردد ووقعت أنا خلفها ثم قال المحقق : "أي معلومات أخرى عن أي أحد ستفيدنا وستفيدكما، لذا تذكروا كل فرد اشترك معكما في التهريب لصالحنا وصالحكما قبل تنفيذ الحكم"

لفتْ انتباهه قائلة : "حضرة المحقق؟ "

قال المحقق وهو يجهز قلمه ودفتره الذي كتب فيه جميع المعلومات : "ماذا كرستن؟ معلومات؟ "

قلت : "نعم" . . انتظرته ليصبح جاهزًا للكتابة ثم قلت بحدة : "لوسي فرانكلين، صديقتي المقربة منذ الطفولة، حرضتني على التهريب ورتبت رحلة التهريب، ذهبنا إلى جامايكا واختفت وقبل قليل أرسلت لي رسالة اعتذار ولكنني لن أسامحها على ما فعلته بي "

بعد ان انتهى من كتابة كل هذا أخذ هاتف كلوي بينما بقايا هاتفي المكسور ما زالت على الأرض، ثم قلت له : "كان في حقيبتي ورقة

تحوي جميع الأرقام التي سأحتاجها للـ. . . "

"نعم نعم. . لقد أخذنا الورقة التي تحوي رقم الشخص الذي سيأتي لاستلام الهيروين واتصلنا به ولكن اتضح أن هذا الرقم مقطوع منذ سنوات. . . لقد تم خداعكما، وفي المقابل حتى لو ستبيعان هذا المخدر فهو ليس صالحًا للبيع"

قالت كلوي: "لماذا؟"

قال المحقق: "إنه مخلوط ببودرة ما، وجودته سيئة جدًا . . باختصار هو مخدر رخيص ولا أعتبره يندرج تحت مسمى مخدرات فاخرة"

قلت: "هل جربته؟"

قال المحقق: "هل ستشين بي؟" ثم تلاها بضحكة "أي أسئلة أخرى؟"

سألته: "كم تقريبًا ستكون مدة حبسنا؟"

رد: "قرابة عشرين أو خمس عشرة سنة"

قلت: "ماذا!"

وفي هذه اللحظة أصبح المكان معتمًا .

28

4 يناير 2006

الأربعاء

10:55ص

استيقظت في زنزانة صغيرة وكان هناك بضع زنـازين في الممـر ، بـدأت أستكشف ما استطعت من المكـان علـى الـرغم مـن صـلابة القضـبان الحديدية للزنزانة .

" كرستن هل أستيقظتِ؟ "

قلت بحماس : " كلوي؟ هل أنتِ هنا؟ ! "

قالت : " نعم . . ما الغريب في الموضوع؟ "

" لا أعرف أنا فقط أشعر بالوحدة"

" ماذا حدث لك البارحة؟ "

" لا أتذكر شيئًا "

" لقد أغمى عليك عندما عرفتِ مدة الحبس ، ماذا انتابك؟ "

" لا أعرف كلوي . . لا أعرف! "

صمتت كلوي قليلاً ثم قالت : " كرستن . . هناك كيس بلاسـتيكي في

زنزانتك . . أليس كذلك؟ "

بدأت أتفقد زنزانتي : " نعم ويحوي . . "

" منتجات نظافة ، سنحتاج إلى بودرة الأطفال ، لا تستخدميه "

" لماذا؟ "

" ستعرفين لاحقًا "

ثم دخل أحد الحراس الغرفة التي تحوي الزنازين وقال : " كلوي تيمفني . . لديك زيارة " ثم فتح قفل زنزانتها وكبل يديها بالأصفاد ثم خرجا من غرفة الزنازين .

بدأت اتأمل زنزانتي ذات التفاصيل الموحشة ، فكان ضوء الشمس الذي يتغلغل من النوافذ غير كافٍ لإنارة المكان .

وبعد دقائق منذ ذهاب كلوي للزيارة جاء احد الحراس متجهاً إلى زنزانتي وهو يقول : " كرستن هارمنسون . . لديكِ زيارة "

قلت للحارس : " لديَّ زيارة؟ ! " ولكن الحارس تسمر مكانه وهو يتأمل وجهي وكأنه يحاول التعرف عليه .

قال الحارس : " مهلاً . . أنا أعرفكِ "

" تعرفني؟ "

ثم سارع بفتح قفل الزنزانة وكبل يديَّ بالأصفاد وتوجهنا إلى الخارج

قال الحارس : "يجب أن نتحدث لاحقًا ! "

" مهلاً . . من أنت؟ "

وقبل أن أعرف الجواب رأيت كلوي مع شخص ما يتحدثان وسرعان ما لاحظتني كلوي وابتسمت ثم توجهنا إليها ورحل الحارس، وجاء حارس آخر للمراقبة .

وقف الرجل الذي مع كلوي . . كان يرتدي بذلة سوداء ونظارة وكان في منتصف العمر وقال : " مرحبًا . . لابد أنك كرستن هارمنسون، أنا السفير البريطاني "

كان وجهه بشوشًا وطريقة كلامه مريحة ؛ لذا شعرت بالاطمئنان في وجود أحد ما قد يستطيع مساعدتنا .

" مرحبًا، تستطيع أن تدعوني كرستن "

" حسنًا يا كرستن . . لقد وضحت لي كلوي عن سير عملية التهريب ومن حقكما أن توكلا محاميًا وأن تجريا اتصالات لذويكما، ولكن الخبر السيئ أن القضية ضدكما ولا مجال لإثبات براءتكما، كما أنكما متهمتان بتهمتين، حيازة الممنوعات وتهريبها "

قلت أنا : " نحن اعترفنا بتهريب الممنوعات ، نحن فعلا كنا نريد تهريبها إلى الإكوادور " ثم أكملت : " كيف تستطيع مساعدتنا سيدي؟ "

" أستطيع أن أسهل إجراءات توكيل المحامي، إن أردتما "

قالت كلوي: " ولكن لا نملك المال سيدي! "

قال السفير: " ولهذا لديكما الحق في الاتصال بذويكما "

الاتصال كان آخر شيء أود أن أفعله في حياتي، كما أنني لا أعرف هل تلقى والداي خبر القبض عليّ في التلفاز أو في الصحف أم لا.

قالت كلوي: " ولكن سيدي، أنا ترعرعت وحيدة أي أنني لا أملك أحدًا أتصل إليه! "

قال السفير: " سأحاول أن أجد يد مساعدة في السفارة البريطانية لكما، لا تيأسا سأحاول " ثم أكمل: " وقد تهمكما تفاصيل أخرى عن مكوثكما في سجن الشرطة قبل الذهاب إلى سجن النساء في مدينة كيتو "

قالت كلوي: " نعم بالطبع.. أخبرنا "

قال: " لقد قيل لي إن الحكم سيصدر بعد أسبوع من اليوم، لأنكما محظوظتان " وابتسم ثم استكمل حديثه: " وإن فترة الحبس لم تحدد ولكن قد صادفتني قضايا أخرى كقضيتكما وكان الحد الأقصى لتهريب كيلو جرامين من الممنوعات (للفرد) هي 15 سنة وهو قابل للتفاوت "

بدأت أفكر أنه بعد 15 سنة سيصبح عمري 35 سنة! أي سأمضي

شبابي في السجن! لن أعيش كبقية الفتيات في العشرينيات. لوسي دمرت حياتي، دمرت وأحرقت حياتي.

وبعد المزيد من التشجيع من قبل السفير توجهنا إلى الزنزانات وخطواتي تقطر يأسًا، وخيبةً وقنوطًا، وحتى لم ألحظ أن من يوجهني إلى زنزانتي هو نفسه الحارس الذي يعرفني إلا بعد أن فك تكبيل أصفادي ودخلت زنزانتي.

بدأت أتذكر عندما دخلت منزل لوسي وفوجئت من ثرائها الفاحش بالنسبة لي، وبدأت أسألها من أين لها كل هذا المال؟ أجابتني بتهريب الممنوعات، ومن ذلك اليوم كانت الفكرة بالنسبة لي هي الفكرة الوحيدة التي لا يمكن أبدًا في حياتي أن أفعلها، ولكن لوسي كانت كالشيطان توسوس لي بأن أقوم بالتهريب وقد مهدت لي جميع الطرق وجعلتني واثقة 100٪ بأن التهريب سينجح ولكن أظن أنني يجب أن أعرف الحقيقة، بالطبع هناك شيء ما لا أعرفه عن هذه العملية، بدأت أفكر: أي خدعة قد انطلت عليّ؟ وما هي درجة استفادتهم؟ لا شيء ليستفيدوا منه! إذن لماذا؟

ولكن ما يشغل بالي هو مارك، كيف عرف بالتهريب؟! وكيف سيكون رد فعله عند معرفته أنه تم القبض عليّ.

بدأت أسترجع أحداثًا كثيرة ومنها بيغ بوس، الظرف الذي كان في يد لوسي من بيغ بوس عندما رحلنا عنه، هل معقول أن الظرف كان

يحتوي على المال؟ أو ربما مخدرات؟ ولكن هناك أسئلة كثيرة لا أستطيع أن أرتاح منها .

قالت كلوي من زنزانتها التي لاتبعد كثيراً عن زنـزانتي : " كرسـتن . . ألن تجري اتصالا؟ "

قلت بيأس : " لا أعرف "

قالت كلوي : " أجري اتصالاً . . سيشعرك ذلك بالراحة "

" ولكن ماذا أقول؟ "

قالت كلوي ببساطة : " أخبريهم بما حدث "

" أنا خائفة من ردة فعلهم "

" سيتفهمون ذلك، طال الزمن أو قصر . . إنهم عائلتـك وسـيبحثون عن الطريقة الفضلى لمساعدتك "

لم أرد على كلوي حينذاك ولكن بعد لحظات قالت : " لو لـدي عائلـة لاتصلت بهم حتى من لحظة إلقاء القبض علينا "

قلت : " ولكنني كذبت علـيهم، أخـبرتهم أنـني ذهبـت في إجـازة إلى إيطاليا "

قالت : " بالطبع سيغضبون ولكن سيتفهمون! "

29

5 يناير 2006

الخميس

في ظهر اليوم التالي لم نتكلم أنا وكلوي كثيراً، ولكن طلبت الحارس وأخبرته بأنني أريد أن أجري اتصالاً.

أخذني الحارس إلى الخارج لحائط فيه هواتف كالهواتف العمومية، ثم تركني تحت مراقبة الحارس الذي يدَّعي أنه يعرفني، وبعد أن ذهب ذلك الحارس، قال: "كرستن!"

قلت للحارس: "عفواً هل أعرفك؟"

قال الحارس: "لا أظن ذلك ولكن يجب أن نتحدث!"

قلت: "لماذا؟ ومن أنت بالأساس!"

قال: "أنا أدعى فرناندو"

قلت ببطء محاولةَ لفهم ما الذي يريده: "حسنًا فرناندو، كيف لي أن أساعدك؟"

قال: "لقد رأيتك في جامايكا"

جاملته قائلة : "صدفة غريبة"

قال : "رأيتك في جامايكا مع كارلوس على الشاطئ، ملتفين حول النار، هل تذكرين؟"

ثم بدأت فعلاً في التذكر، عندما كان هناك جماعة على الشاطئ يبدو عليهم أنهم أصدقاء كارلوس وكانو منتشين تمامًا من تدخين الماريجوانا، أنا ذهبت أتمشى على البحر وكنت أسمع كارلوس يقول : 'فرناندو هذه الفتاة' ثم رد أحدهم ويبدو أنه هو المدعو فرناندو : 'هذه هي؟' وقد التفتُّ لأرى من هو فرناندو ولكن الجميع كان ينظر إليَّ ولم أركز في وجوههم كثيراً .

وقد سمعت لوسي قبل أن تغادر بليلة تقول : 'أحبك كثيراً أكثر مما تتصورين حتى أكثر من فرناندو'

قلت أنا ببطء واستغراب : "نعم لقد تذكرتك" ، ثم أكملت : "ماذا تفعل هنا؟"

قال فرناندو ببساطة : "أنا أعمل هنا"

قلت : "وماذا كنت تفعل في جامايكا إذًا؟"

قال فرناندو أيضًا ببساطة : "لديَّ عمل هناك"

" حسنًا . . دعني الآن أجري اتصالاً بعائلتي "

بدا فرناندو متأسفًا وتراجع للخلف قائلاً : " بالطبع . . أنا آسف لتضييع وقتك "

بدأت أضغط على أزرار الهاتف ، وكنت مترددة بأن أضغط زر الاتصال . . اذا اتصلت هل يعلمون ذلك مسبقًا؟ وإن كانوا لا يعلمون مسبقًا هل أخبرهم بكل شيء؟

قطع حبل أفكاري سبابة فرناندو وهي تضغط على زر الاتصال ثم قلت له بصوت خافت : " لماذا!؟ "

قال فرناندو متأسفًا : " أوه . . أعتذر ، ظننتك لا تعرفين أين زر الاتصال "

قلت : " أنا اعرف ذلك ، إنه واضح "

و على الفور بدأت أسمع صوت والدتي على الهاتف : " مرحبا؟ "

نظرت إلى فرناندو وبعد صمت التفتُّ ناحية الجدار وقلت : " مرحبا أمي "

قالت أمي بحماس : " كرستن! عزيزتي! هل هذه أنتي؟ "

قلت : " نعم إنها أنا " وبدأت بالبكاء

قالت : " لا تبكي يا عزيزتي . . لا بأس "

قلت لأمي ودموعي تنهمر بغزارة : " أمي أنا آسفة . . أنا فعلاً آسفة "

قالت : " لا بأس يا ابنتي . . سترجعين إلينا وستخبرينا عن رحلتك "

قلت : " أمي . . لا أعرف لماذا فعلت ذلك "

قالت : " لا بأس . . إنها تجربة تتعلمين منها "

قلت : " ماذا أفعل الآن ! "

قالت : " ماذا تفعلين؟ ابقي مع صديقتك لوسي وسيكون كل شيء على ما يرام "

لم أتوقع من أمي كل هذا البرود، ابنتها قد هربت الهيروين وستسجن في سجون أجنبية وهي تقول تجربة جديدة!

قالت أمي : " ولكن لم تخبريني . . كيف حال إيطاليا؟ هل أنتما في روما الآن؟ "

وهنا استوعبت أن أمي لا تعرف شيئًا، وكنت في موقف لا يحسد عليه .

قلت باستغراب : " إيطاليا؟ ! " ثم أكملت لكي لا أثير الشبهة : " نعم، نحن في روما والجو بارد وجميل " . . كذبت عليها

قالت : " قررنا أنا ووالدك أن نذهب إلى إيطاليا في وقت قريب، ونريدك أن تكوني المرشد السياحي الخاص بنا " ثم ضحكت أمي بعفوية

قلت : " حسنًا أمي . . أنا يجب أن أذهب الآن، أحبك كثيراً وأبلغي أبي سلامي وتحياتي "

قالت : " وأنا أيضًا، ولكن من أي هاتف تكلميننا؟ "

قلت : " هاتف صديقتي ولا تعاودا الاتصال، أنا سأتصل "

قالت أمي : " إلى اللقاء . . نراك الأربعاء القادم "

أغلقت الخط وأنا خائفة، وتسمرت في مكاني محاولة أن أدرك حجم الكذبة التي ألفتها، واستوعبت أن يوم الأربعاء (اليوم المفترض ان أعود إلى بريطانيا من الرحلة الوهمية) هو يوم صدور الحكم!

التفتُّ إلى فرناندو لأذهب إلى زنزانتي وبدوره قال : " هيا لنذهب كرستن "

ذهبت إلى زنزانتي وقررت ألا أفكر بشيء آخر غير نفسي، لأنني تعبت فعلاً من التفكير بغيري والنتائج التي ستترتب على النتائج الأولى.

30

9 يناير 2006

الأثنين

بعد أربعة أيام من دخولي سجن الشرطة، كنت قد فكرت في نفسي كثيراً، فكرت في بقائي في زنزانة صغيرة لثلاثة أيام متبقية إلى صدور الحكم، كان لا يوجد أي شيء للتسلية أو تضييع الوقت، فقط النوم وتأمل الفراغ، والرسم الوهمي على الفراغ.

كان فرناندو يحرص على أن يكون هو الذي يأتي لتفقد أحوالنا بين كل فترة وأخرى من الوقت، وفي كل مرة كان يسألني عن أحوالى، وفي أكثر من مرة رآني أرسم بيدي على الحائط.

قال فرناندو: "كرستن، إذا كنتِ ستستمرين في الرسم هكذا ستصابين بالجنون".

قلت له بدون أن ألتفت إليه: "لقد جننت فعلاً".

قال فرناندو وهو يغادر المكان: "حسنًا.. امنحيني لحظة" بينما أكملت أنا الرسمة الوهمية.

رجع فرناندو وعرفت ذلك من وقع خطوات أقدامه على الأرض، ثم فتح زنزانتي عندما كنت جالسة على الأرض ثم دنا مني ووضع أوراقا وقلمًا على الأرض.

نظرت إليه باستغراب ثم قال: "أحضرت لك أوراقًا ولكن أولاً أريدك أن تكتبي رسالة اعتذار لوالديك والاعتراف لهما بأنك قد هربتِ الهيروين"

قلت بصرامة: "هذا لن يحصل"

قال: "ستفعلين ذلك يا كرستن، وسأحاول مساعدتك إذا فعلتِ ذلك"

قلت: "حسنًا.. سأفكر"

قال بهمس: "في الورقة الثانية أريدك أن تكتبي رسالة إلى كلوي"

سألته: "لماذا؟"

رد قائلاً: "لأنها صديقتك وربما تبتعدين عنها لاحقًا"

سألته: "ولكن كيف لك أن تعرف؟"

أجابني: "كل شيء واضح كرستن"

قلت : "ولكن أنا لا أرى أي شيء واضحًا ! "

قال : "سأكون هناك عندما تتضح لك الأمور "

قلت : "يجب أن تتخلص من أسلوب كلامك المشفر ! "

"سأذهب الآن كرستن "

بدأ فرناندو يرحل وقبل ذلك قلت له : "شكرًا فرناندو "

رد قائلاً : "على الرحب والسعة "

ثم استجمعت قواي وأمسكت القلم وبدأت أكتب :

عزيزتي أمي، عزيزي أبي . . .

مرحبًا، قبل أن أبدأ بشرح أي شيء أريدكما أن تعرفا أنني أعتذر وأعرف أن الاعتذار لن يمحي خطيئتي . كنت حائرة بين الكتابة لكما عمَّا حصل لي وأن تعرفا بأنفسكما من الصحف والتلفزيون، ولكن عندما أتصلت بأمي زال خوفي من عدم معرفتكما ما حصل ولكن في الوقت ذاته كان العذاب النفسي قد أهلكني رغم الظروف المقبولة في هذا المكان .

في الواقع، لم أذهب إلى إيطاليا، وليست في نيتي الذهاب إليها عندما

أردت أن أسافر، ذهبت إلى جامايكا ثم إلى الإكوادور والآن أنا أكتب لكما من سجن مركز شرطة في الإكوادور بسبب جريمة فعلتها، لقد هربت الهيروين إلى الإكوادور وبخدعة ما من الشركة الترويجية قد اعتقلت في المطار وها أنا أنتظر موعد محاكمتي.

أنا فعلاً آسفة لما بدر مني، كنت أريد أن أخبركما بالأمر كله في الهاتف لكنني لم أستطع وكتبت أنا هذه الرسالة بمساعدة من حارس سجن طيب ولطيف يدعى فرناندو.

ملاحظة: موعد محاكمتي 11 يناير والذي سيصادف يوم الأربعاء.

ابنتكما

كرستن هارمنسون

***

وبدلاً من كتابة رسالة إلى كلوي رسمت في باقي الأوراق، وحاولت أن أضيع وقتي، ثم جاء فرناندو وتوجه مباشرة إلى زنزانتي ليأخذ الرسالة.

قال فرناندو: "هل انتهيت من كتابتها"

قلت له : "نعم، إنها جاهزة"

أخذها وثناها ثنيتين ثم همّ بالذهاب

قلت له : "انتظر . . العنوان سأكتبه وراء الورقة"

أجابنى : "لا بأس . . لدي كل المعلومات اللازمة"

قلت : "لديك كل المعلومات اللازمة؟ كيف؟ من أين حصلت عليها؟"

ذهب فرناندو بلا أجوبة

نادتني كلوي من بعيد : "كرستن"

أجبتها : "نعم؟"

قالت : "يبدو أن حارس السجن هذا معجب بك"

ضحكت ثم قلت باستهزاء : "معجب بمسجونة؟ معجب بمهربة مخدرات؟" توقفت قليلاً ثم ختمت كلامي : "هذا مؤقت"

غالبًا يمر يوم أو يومان دون أن نتحدث أنا وكلوي فيهما ولكن هذا لا يعني أننا متخاصمتان، إنه فقط الجو المهيب للسجن، البعد والمسافات، أو بالأحرى الحالة النفسية لكلٍ منا .

31

11 يناير 2006

الأربعاء

كان اليوم هو اليوم الذي سأعرف كيف ستجري حياتي للسنوات المقبلة، اليوم هو موعد المحاكمة

استيقظت باكرًا وكنت قلقة ومضطربة، كنتُ أحاول أن أضيع وقتي بالرسم، ولكن تركيزي كان مشوشًا، إلى أن دخل فرناندو – كعادته – ليراقبنا ثم يخرج ولكنني استوقفته.

ناديته: "فرناندو؟"

قال فرناندو: "كرستن.. اليوم موعد المحاكمة"

"نعم.. ومتى سأعرف؟"

قال فرناندو وهو غير متأكد: "المحاكمات تنتهي ظهرًا ربما الساعة الثانية ظهرًا؟"

قلت: "حسنًا"

قال: "وبعد ذلك تعرفين وتنقلين إلى سجن نساء رسمي في الإكوادور، والحراس هناك أخطر مما تتصورين"

سألته: "ماذا تعني؟"

قـال : " أعني أن حـراس . . . . " توقـف قلـيلا ثـم أكمل : " أقصـد حارسات السجن أخطر من السجينات أنفسهن "

رآى فرناندو في عيني الذعر ثم قال : " لذا يجب أن تتجـنبي الاحتكـاك بهن ، خصوصًا أنكما – أنتِ وكلوي – مختلفتان من حيث المظهر "

قلت : " كيف أتجنب ذلك؟ "

قالت كلوي من بعيد : " كرستن أبقي معي دائمًا "

قال : " إذا أردتما أن أوفر لكما ما تحتاجانه يمكنني أن أطلب من رئيسـي أن يتم تعييني حارسًا لجدران السجن أو حارس الكابينات العلوية "

قالت كلوي وهي تضحك : " لا تقلـق يـا ʻروميـوʼ كرسـتن سـتكون بأمان معي "

قلت أنا : " روميو؟ "

عزم فرناندو على الخروج ثم قال لـ " كلـوي " وهـو يضـحك : " ومن هي جولييت؟ "

قالت كلوي بسخرية : " أنت أعلم " .

***

قال فرناندو وهو يدخل غرفـة الزنـازين : " ظـرف إلى كلـوي تـيمفني وكرستن هارمنسون " (لاتكون هناك جلسات محاكمة لهـذه القضـايا ،

بل يتم إرسال ظرف يحتوي على جميع المعلومات اللازمة)

أخذت الظرف من فرناندو وفتحت الظرف والورقة المطوية وقرأتها بسرعة واتضح . . . أنني . . . سأكون في الإكـوادور للعشـر سـنوات المقبلة .

و إلى هـذا الحـد مـن الصـدمات انهـرت بكـاءً، لم أتمالـك نفسـي وبدأت أصرخ : " لا ، لا "

قال فرناندو : " كرستن ، اهدئي . . سأحاول مساعدتكما فيما بعد "

قالت كلوي بيأس واستهزاء : " وكيف ستساعدنا روميو؟ سنكون أنا وكرستن في السجن ! "

قال : " كما قلت ، سأحاول أن أعين كحارس جدران للوصول إليك "
قالت كلوي بنفس نبرة

الاستهزاء : " لماذا تزعج نفسك؟ نستطيع تدبر أنفسنا "

قال فرناندو : " هذا لا يعتبر إزعاجًا بالعكس يا كلوي "

بدأت كلوي هنا تغضب قائلة :
" لماذا أصلاً تحاول مساعدتنا؟ أم أنها خدعة أخرى من شركة المخدرا ت الحقيرة؟ "

توقفت عن البكاء لأسمع رد فرناندو لأنني أنا ايضا كان يمتلكني الفضول في معرفـة اهتمـام فرنانـدو بِنَـا ، ولكـن فرنانـدو صـمت أيضـا ،

وهنا قالت كلوي بثقة : "كنت متأكدة من شكوكي"

برر فرناندو :
"أنا لا أتعامل مع أي نوع من المخدرات أو حتى مع أشخاص يتعاملون مع المخدرات"

صرخت كلوي : "إنك تخدعنا فرناندو، كاذب!"

قلت أنا : "كلوي محقة فرناندو"
ثم أكملت : "و أكبر دليل هو عندما رأيتك في الشاطئ مع أصدقاء كارلوس، كارلوس مشترك في إعداد الفخ وأنت على وشك ان توقع بنَا مرة أخرى، أقدر كل ما فعلته لي يافرناندو ولكن بعد ماحصل لَنا لا يمكننا أن نثق بأحد له علاقة مع المخدرات، أو حتى مع أي أحد"

وبعد لحظات من السكون رحل فرناندو، وبعد لحظات أخرى جاءت مجموعة من الحراس لأخذنا للخارج إلى سجن النساء، وفي يدنا الأكياس التي قدمت لنا من السجن التي تحوي منتجات النظافة، وكنا قد رأينا فرناندو الذي كان طوال الوقت يراقبنا ولكن أنا حاولت ألا أنظر مباشرة إليه، ثم صعدنا إلى سيارة الشرطة متوجهين إلى سجن النساء في مدينة 'كيتو'.

٣٢

في طريقنا كنت أحاول أن أرى أكبر عدد من الأشياء قبل أن أدخل ا لسجن وأنسى كيف تبدو، الأشجار، التربة، الشارع، المواطنون العـ ادیون، المباني الحديثة، الزحام، البحر . . !

وعندما وصلنا كانت جدران السجن شاهقة الارتفاع، ويعلوها السلك الشائك، على كل زاوية من زواياها الأربع كابينة مراقبة، وكان الباب من الخارج طويلاً وضخمًا، وعندما مشينا باتجاهه فتح أحـد الحـراس القفل وفُتح الباب، ولكن بالنسبة لنا قد فُتح باب الجحيم.

دخلنا وكان هناك ممر طويل ينتهي بباب كان موصدًا، وكان هناك ذلك الدرج الذي يربط بـين ثلاثـة طوابـق مـن الزنـازين الـتي علـى يمـيني ويساري، وبدأت السـجينات بالترحيـب بنَـا ولكـن علـى طـريقتهن الخاصة! فكن يصرخن ويضحكن وكانت السجينات جميعًا ينظرن إلينا ويبتسمن ويضحكن وكان ذلك سخيفًا!

تسمرنا في مكاننا ونظرت ورائي وإذا الباب قد أقفل بالفعل.

قالت الحارسة: "هيا تحركا!"

تقدمنا إلى الأمام، واتجهنا إلى الطابق الثاني حيث زنزانتينا واتضح أن

زنزانة كلوي بجانب زنزانتي وهذا ما أسعدني قليلاً، لذا توجهنا إلى داخل الزنزانة وقفلت الحارسة الزنزانة ثم قالت بالإسبانية شيئًا وهي تضحك.

نظرت في عينيها وقلت لها بالإنجليزية: "ماذا؟"

ثم قالت بلهجة إنجليزية ركيكة: "أنتِ ستموتين... قريبا"

رفعت حاجبي كناية عن اندهاشي، ثم توجهت إلى كلوي. أما أنا فشرعت أتفحص الزنزانة التي سأبقى فيها للعشر سنوات المقبلة، كان السرير بلا بطانية ولا وسادة وكان هناك طاولة صغيرة ومرحاض معدني وعلبة بلاستيكية كبيرة.

كيف سأعيش هنا! السرير خشبي ولا يوجد اي شيء عليه! كما أن الجدار متشقق والمكان يحتاج للتهوية لعدم وجود نافذة في غرفتي!

استنجدت بـ كلوي قائلة: "كلوي.. أنا أختنق!"

أجابتني قائلة: "لا تقلقي..سوف نستنشق هواء نظيفًا عندما نخرج إلى الساحة"

سألتها: "متى سنخرج؟"

هنا لم أحصل على رد من كلوي ثم قلت لها: "كلوي. ليس لديَّ

أي بطانيات أو وسائد للسرير! كيف سأنام؟!"

قالت كلوي بيأس : "لا أعرف كرستن.. سأنام بملابسي"

سكتت كلوي قليلاً ثم قالت: "هل تظنين فعلاً أن الأمر خدعة؟"

قلت: "كلوي، كل شي مرتبط ببعضه البعض، ولكن هناك جزء نا قص لربط الأحداث ببعضها"

قالت كلوي "وعن ماذا مثلاً يمكن أن يكون هذا الجزء؟"

قلت: "هذا ما يسمى بجزء ما خلف الكواليس"

قالت كلوي "و كيف أن..."
و قاطعت إحدى السجينات كلامها: "هل تستطيعين أن تكفي عن ال كلام يا كثيرة الكلام؟!"

قالت كلوي وهي تتحداها: "اجعليني أكف عن ذلك!"

"كلوي.. توقفي.. لنتكلم لاحقًا!" توسلت إلى كلوي لنتجنب المشاكل كما نصحنا فرناندو

جلست على ذلك الشيء الخشبي الذي يسمى سريراً وقد أدركت أنني سأقضي عشر سنوات من حياتي هنا في هذا المكان البائس، مع سجينات غريبات، وبلد غريب، ولغة غريبة، الآن أُصنف كسجينة مسلوبة الحرية.

***

كانت الحركة في السجن حرّة، ولكن في طابقنا لم تكن حرّة لأننا – كلوي وأنا – جديدتان وهذه القاعدة من أجل تجنب التحرش بالمسجونات الجدد، ولكن الجدير بالذكر أنني حتى لو سنَحت لي الفرصة بالتجول خارجًا لن أفعلها؛ فهدفي الآن هو أن أتحاشى الاحتكاك بالباقي.

بعد برهة من الوقت سمعت صوتًا يهمس: "كرستن!"

انتفضت من مكاني وتحريت عن مكان الصوت ثم مرة أخرى يناديني: "كرستن!" فاقتربت من الجدران ثم قلت بهمس: "من أنت؟"

همست المنادية: "هل تمزحين كرستن؟ إنها أنا كلوي"

همست لـ كلوي بعد أن تنفست الصعداء "كلوي؟ نعم ماذا تريدين؟"

قالت كلوي: "أريد بودر الأطفال والكيس الذي يحتويه، باقي الأغراض أبقيها عندك"

"بالطبع، ولكن هل لي أن أعرف لماذا تحتاجين البودر؟"

قالت كلوي "سأشرح لك كل شيء لاحقًا، ولكن يمكنني أن أختصر

هذا الأمر كله الآن فإنه مصدر رزقنا "

"مصدر رزقنا" توقفت قليلاً ثم قلت لكلوي: "حسنًا.. كيف سأمرر الكيس لك؟"

"ضعيه على أبعد نقطة تستطيع يدك أن تصل إليها أمام زنزانتي وسألتقطه فورًا، افعلي ذلك بسرعة.. لا أريد أيًّا من السجينات أو الحارسات أن تلحظ أي شيء"

"حسنًا، انتظري" قلت لها وأنا أخرج أغراضي من الكيس باستثناء البودر، ثم قلت لـ كلوي: "الآن؟"

قالت كلوي: "لحظة"، ثم أخرجت يدها من القضبان لتلوح بمرآة مكسورة نسبيًا

قلت وبدأ الخوف يسارع من نبضات قلبي: "ماذا تفعلين؟"

"لا تقلقي.. إنني أتأكد من خلو المكان من الحارسات"

من حسن حظنا أن معظم الزنازين قد علقت السجينات اللاتي فيها شيئًا كغطاء السرير منحًا للخصوصية، لذا كنا بأمان.

قالت كلوي "الآن!"

مددت يدي خارج قضبان الزنزانة بأقصى ما يمكنني وقد تزحلقت عن

طريق الخطأ ذراعي متضمنةً كوعي، وعندما استطاعت كلوي أن تأخذ الكيس، حاولت أن أخرج كوعي من القضبان الضيقة وبما أن القضبان الطولية تتعارض مع العرضية فأنني لا أستطيع أن أزحلق يدي إلى أعلى، ذراعي كانت محشورة وكل محاولاتي باءت بالفشل، لذا حاولت أن أصل لعلبة الكريم من كيس منتجات النظافة ولكن الألم يشتد كلما أحاول التحرك.

استنجدت بـ "كلوي" قائلة: "كلوي ساعديني!"

قالت: "ما بك؟" ثم أخرجت كلوي المرآة المكسورة ونظرت إلى يدي ثم قالت: "حسنًا لا تفزعي ولكن حاولي أن تفرديها قدر الإمكان لتزلق إلى الداخل"

قلت لـ كلوي وقد لاحظت اختفاء مرآتها بعد تقدم حارسة سجن نحوي: "لا أستطيع كلوي إنها تؤلمني!"

قلت للحارسة وذراعي تعتصر من الألم: "أ..أ.. سيدتي هل تستطيعين مساعدتي؟"

قالت: "بالطبع"، وبعد أن أنهت كلمتها اللطيفة قامت وبحركة سريعة وقوية بركل ذراعي إلى الداخل! صرخت بأقوى ما أملك من شدة الألم، لقد نجحت في تحرير ذراعي ولكن فعلت ذلك لترفه عن

نفسها وتستمع بإيذاء السجينات لا لمساعدتي .

قالت الحارسة : "ماذا كانت تفعل يدك الفضولية في الخارج؟" ثم أردفت : "تخرجينها مرة أخرى سأقطعها لك ، مفهوم؟"

قلت لها محاولة كتم آلامي في الداخل : "نعم نعم" ، ثم رحلت .

بعد فترة سألتني كلوي عن ذراعي أخبرتها أنني لا أستطيع أن أحرك ذراعي ، فكنت أثنيها طوال الوقت ، وفي الوقت نفسه كنت أشعر بالجوع فأنا لم يدخل جوفي أي طعام منذ الصباح! والآن إنها تشارف على المغيب ولكن لا أحد تكلم عن أي طعام .

قلت لـ كلوي : "كلوي! أنا جائعة!"

قالت : "هل تستطيعين أن تنتظري إلى الغد؟"

قلت لها : "لا! أنا جائعة!"

قالت : "وأنا أيضًا ، ولكن الآن حاولي النوم وسنأكل غدًا طعامًا لذيذًا"

33

13 يناير 2006

الجمعة

اليوم 2 في السجن ـ

في الصباح لا أعرف متى استيقظت ولكن كلوي هي التي أيقظتني ، فكانت داخل زنزانتي وأخبرتني أننا يجب أن نأكل الغداء ، لذا توجهت إلى زنزانتها وكان يسمح لنا الآن بالتجول في المكان وزيارة زنازين السجينات ، وعندما رأيت ما فعلت كلوي دُهشت تمامًا !

كُنت أرى أكياسًا صغيرة بيضاء يتراوح عددها من 70 إلى 100 كيس ، وأنا على الفور عرفت كيف سنأكل !

قلت لـ كلوي : " كيف سنبيع الهيروين على السجينات؟ لابد أن نثق بهم أولاً ! "

قالت كلوي : " ومن قال إننا سنبيع الهيروين إلى السجينات؟ سنبيعه إلى حارسات السجن "

قلت باندهاش : " حارسات السجن ! مستحيل ! خصوصًا أن هذه

المخدرات ليست مخدرات إنها بودرة أطفال! سيكتشفن الوضع وسيوشين بنا! "

" ومن قال أصلاً إننا نبيع مخدرات مغشوشة أو بودرة أطفال؟ إنها مخدرات حقيقية لكنها رخيصة "

وهنا أحسست بحرارة في رأسي وقلت لكلوي : " ماذا؟ كيف؟ "

قالت كلوي : " كرستن هل تريدين أن تأكلي أم تسمعي القصة؟ "

" أختار سماع القصة بالطبع! "

" حسنًا ، هل تذكرين عندما أغمي عليك؟ في مركز الشرطة مع المحقق؟ "

قلت لها : " نعم نعم، أذكر "

" عندما أغمي عليك حملك الشرطيان إلى زنزانتك ثم تركني المحقق وحدي وهو يقول 'فكري في المدة التي ستقضينها مقابل مخدرات رخيصة يا حمقاء' ثم خرج من الغرفة وأنا كنت وحيدة أنا والهيروين! لذا أخذت أكياس منتجات النظافة التي كان الشرطيان في نهاية التحقيق سيعطياننا إياها وفتحت بودرة الأطفال وأحد أكياس المخدرات ورميت محتويات البودر وسكبت داخل العلبة الفارغة

مخدراتنا التي هربناها – الرخيصة – في علبتين من البودر وأخذت بقايا هاتفك المكسور الحادة والبطاقة الخاصة بك احتياطًا "

فتحت عينيَّ على اتساعهما وأنا أقول : " كل هذا فعلتِه ! "

قالت : " كان مخيفًا ولكن كان الأمر يستحق "

ثم ولا شعوريًا عانقت كلوي وأنا أقول : " أنا مدينة لكِ بالكثير يا كلوي . . ستنقذين حياتي ! "

قالت : " نحن نواجه أخطاراً مماثلة لذا يجب أن نتماسك مع بعض "

" أخذت كلوي كيسًا صغيراً يساوي حجم قبضة يد طفل ، ووضعته أمام عينيّ وهي تقول : " في خارج السجن تساوي الكمية الضئيلة من الهيروين هذه لا شيء ولكن في الداخل تساوي كل شيء " ، وارتسمت على وجهها ابتسامة انتصار ثم وضعتها في جيبها .

34

ذهبنا إلى الممر لنبحث عن حارسة يبدو عليها ملامح الإدمان كما تريد كلوي لأنها تقول إن الحارسات أكثر ثقة من السجينات! فنزلنا للطابق الأول ولكن كان الأمر مزعجًا! كان التحرش من قبل السجينات مبالغًا فيه، تهجم كلامي باللغة الإسبانية، نظرات السخرية، نظرات ازدراء، ضرب وتدافع ولكن كل هذا يحدث بسبب واحد، لأنهن يظنون أنني ضعيفة، ضعيفة لأنني لا أنتمي إلى هنا، ملامحي تختلف، لغتي كذلك، لا يستطيع أن يعيش أي إنسان في مضايقة مستمرة من قبل الناس، ولكن هنا السجن يفرض عليك التعايش مهما كانت درجة المضايقات.

ولكن حركة حارسات السجن أيضاً عادية تمامًا كالسجينات ولكن مع هراوة*، يقفن مع السجينات، يتحدثن معهن، ويضحكن كأنهن سجينات.

كانت البوابة للساحة الخارجية تفتح؛ لذا توجه الجميع إلى الخارج وبقينا أنا وبضع حارسات في الداخل، فصعدنا مرة أخرى إلى طابقنا، لنرى حارسة هزيلة تمشي باتجاهنا وعندما وصلنا بالقرب منها، همست لي كلوي: "راقبي وتعلمي"

" نحن جائعتان، نريد غداء! " قالت كلوي ذلك للحارسة التي بدت مرعبة فكانت الهالات السوداء واضحة تحت عينيها، وجهها ضعيف وأستطيع ببساطة أن أرى جمجمتها من بروزها، ناهيك عن النظرات المترددة والمرعبة.

قالت الحارسة: " لا شيء مجاني "

قالت كلوي: " بالطبع، لدي مايعجبك "

قالت الحارسة " ما نوعه؟ "

قالت كلوي: " هيروين نقي من الدرجة الأولى "

قالت الحارسة: " لم أسمع عن الدرجة الأولى قط "

قالت كلوي: " إذًا أنتِ تتعاطين الرخيص فقط "

قالت الحارسة: " ماهي الكمية؟ "

قالت كلوي: " ماذا لديك من الطعام؟ "

قالت الحارسة: " أ. . أ. . سأحاول أن أحضر بطاطا مهروسة "

*الهراوة هي العصا الغليظة وتستخدم من قبل حراس الأمن وحافظي النظام والشرطة.

قالت كلوي : "فقط؟"

قالت الحارسة "لا لا . . لدينا دجاج"

قالت كلوي "حسنًا . . أريد اثنين منها ومشروبين"

قالت الحارسة "حسنًا . . أين الكيس؟"

قالت كلوي "أريد أن أرى طعامي أولاً"

ذهبت الحارسة وتنفست الصعداء ثم قلت : "لم أتوقع أن تستجيب لنا بهذه السهولة، كيف عرفتِ أنها مدمنة؟"

قالت كلوي بكل بساطة : "ضربة حظ"

قلت لها معبرة عن إعجابي بأسلوبها القوي : "كلامك صارم ومخيف! أنا خفت أكثر من الحارسة!"

قالت كلوي : "كوني قوية، قلديني إن سنحت الفرصة"

جاءت الحارسة بعد وقت بصحون بلاستيكية ومشروبن غازيين ثم قالت كلوي : "هذه كمية قليلة بالنسبة لما لدي"

قالت الحارسة بتودد : "سأحضر لكما ما تريدان!"

قلت : "هل لديكم قائمة طعام" حاولت أن أظهر صرامتي ولكن

كانت هذه الجملة الخاطئة تمامًا! فكنت أرى إخفاء كلوي لضحكتها ثم حاولت أن تضيف على كلامي لمسة من أسلوبها القوي: "إنها تقصد أن تذكري أصناف الطعام"

ابتسمت الحارسة ثم قالت: "هناك حساء خضراوات وأنا لدي ألواح شيكولاتة سأحضرها لكما"

ذهبت الحارسة مرة أخرى وعندما ذهبت انفجرت كلوي ضحكًا ثم قالت: "قائمة طعام؟ حقًا كرستن؟"

ضحكت أنا في المقابل وأنا أقول: "كانت زلة لسان"

جاءت الحارسة هذه المرة بسرعة وفي يدها صينية وضعت فيها الدجاج والبطاطا والحساء والشوكولاتة والمشروبات ثم أخذت كلوي يد الحارسة وفتحتها ووضعت فيها كيس الهيرويين ثم قالت الحارسة: "إذا احتجتما أي شيء سأكون أنا الأفضل لخدمتكما"

ذهبت الحارسة وجلسنا داخل غرفة كلوي وشرعنا فى الأكل، وقد أكلت كما لم آكل شيئًا منذ سنوات، شكرت كلوي وسألتها عن خبرتها في التعامل مع الناس أو مع الأشياء وسرعة البديهة لديها وكيف اكتسبت كل هذه الخبرات؟ فأجابتني بكل بساطة أنها تحب الأفلام، غير أنني لم أصدقها ولكن تقبلته من باب الضحك والدعابة.

35

14 يناير 2006

السبت

اليوم 3 في السجن –

عندما كنت في زنزانتي مستلقية أخبرتني إحدى الحارسات بأن لي مكالمة، وكنت متأكدة تمامًا بأنها أمي لذا نهضت مسرعة إلى حائط الهواتف الذي يقع داخل مبنى إدارة السجن، لذا خرجنا من مبنى الزنزانات إلى ساحة السجينات التي لم يسبق لي الاطلاع عليها، إلى إدارة السجن بعد عدة تفتيشات وصلنا إلى حائط الهواتف.

التقطت سماعة الهاتف ثم قلت: "مرحبًا؟"

أجابت المتصلة وكانت أمي: "كرستن؟"

"أمي؟"

قالت: "كيف حالك كرستن؟" وبدأت أمي بالبكاء

"أنا آسفة أمي، أنا فعلاً آسفة"

قالت أمي: "لا يهم ذلك الآن" ثم أكملت: "هل أنتِ بخير؟"

قلت : " نعم أمي . . بأفضل حال "

قالت : " كرستن ، سأحاول أن آتي إلى الإكوادور بأسرع وقت "

قلت : " حسنًا سأكون بانتظارك هنا "

قالت : " وأعدك بأن أستطيع أن أخرجك من هناك ، أعدك "

أنا لم أقل شيئًا ولكن بعد صمت سألتها عن أبي ومارك ، فتوقفت قليلاً قبل أن تجيب : " أبوك ليس في الجوار . . سيتصل بك فور أن يكون في البيت "

قلت : " هل يعرف؟ "

قالت : " نعم ، هو ومارك "

قلت : " وكيف حال مارك؟ "

هنا أيضًا صمتت لمدة أطول

قلت : " أمي؟ "

قالت : " مارك لديه رسالة لكِ وطلب مني أن أعطيها لكِ عندما أذهب إلى الإكوادور "

قلت : " ما موضوعـ . . "

وقبل أن أكمل أغلَقَت الحارسة الهاتف، ثم نظرت إليها وأنا أقول: "ماذا فعلتِ؟ لَم أودعها!"

"وقت استعمال الهاتف محدد!"

ثم رجعت إلى زنزانتي مرة أخرى وأخبرت كلوي عن كل ما دار في مكالمة الهاتف، وأخبرتها عن معرفة مارك بأنني سأهرب الهيرويـن مسبقًا ورسالته.

سألت كلوي: "لماذا لم يوقفك؟"

"لا أعرف! إن رسالته غامضة جدًا!"

قالت كلوي: "حسنًا.. بعيدًا عن مارك، لقد ضاق بي الحال هنا محبوسة في الزنزانة!" قلت: "هل تعنين بأننا يجب أن نخرج؟"

قالت: "نعم!"

قلت: "ولكن أنا لا أظن أنها فكرة سديدة، فنحن نتجنب المشاكل"

قالت كلوى: "كرستن، إذا اجتنبنا المشاكل فالمشاكل ستأتي إلينا، وإذا لم نخرج سيصيبني الجنون!"

36

15 يناير 2006

الأحد

اليوم 4 في السجن

كما تريد كلوي أمس أن نخرج، خرجنا في وقت الظهيرة في الساحة، وكانت الساحة فيها ملعب كرة سلة في ركن وباقي المكان طاولات وكراسي، إذا اتجهنا إلى الأمام فهناك إدارة السجن، وإلى اليمين هناك غرف الاستحمام أما اليسار فهو مبنى لا أعرف ما هو.

جلسنا على الأرض في مكان ملاصق للحائط وكنا نتأمل السجينات ونظراتهن المثيرة للاشمئزاز إلينا، وكانت هناك مجموعة من السجينات، يلبسن فقط اللون الأحمر، يمشين متباهيات مرفوعات الرأس، متنمرات على باقي السجينات ويدخنَّ سجائر غير مألوفة، ويضحكن باستخفاف ويتكلمن بصوت مرتفع ويردن أن تكون كلمتهن هى المسموعة.

تقول كلوي إنهن يحتكرن اللون الأحمر لأنفسهن وأنا قد أنكرت ذلك دون وجود دليل، ولكن بالفعل لا أحد في السجن يلبس اللون

الأحمر! والدليل القاطع الأكبر بأنه لا يوجد أي علم للإكوادور في داخل السجن (علم الإكوادور يشمل اللون الأصفروالأزرق والأحمر) فالراية دون علم! هذا يعني أن هذه العصابة فارضة سيطرتها تمامًا على السجن.

قالت كلوي: "كل شيء باللون الأحمر ينتمي إليهن، فإن وجدن أي شيء لونه أحمر يستعددن للانقضاض عليه"

قلت أنا: "مثل حيوان الثور" وفي المقابل ضحكت كلوي واتفقت معي على هذه النقطة

قالت كلوي: "انظري إلى تلك السجينة اللي ترتدي سترة سوداء"

"التي تأكل؟"

أشارت كلوي: "نعم، وانظري إلى السجينة الأخرى التي هناك"

"نعم، ما بها؟"

قالت كلوى: "السجينة التي ترتدي سترة سوداء وتأكل هذا يعني أن لديها مالاً، وفي سجون أمريكا الجنوبية الحصول على الأكل إما عن طريق مال تقدمه عائلتها أو عن طريق الممنوعات – كما نفعل – وبما أن حالتها مزرية فشكوكي تشير إلى أنها تحوز الممنوعات"

" كلامك منطقي، ولكن ماذا عن السجينة التي هناك؟ "

قالت كلوي: "لقد رأيتها تعطي علبة سجائر لإحدى الحارسات والآن هي تنتظر"، وبعد ذلك تحركت السجينة وبدت كأنها تخبئ شيئًا ما داخل سترتها فقالت كلوي: "هاهي ذا، تخبئ كيس الطعام داخل سترتها وتتوجه إلى زنزانتها لتأكل في سلام" تبعتها أعيننا إلى أن ذهبت داخل المبنى ثم قالت كلوي: "وهذا هو التصرف السليم!"

سألتها: "لماذا؟"

قالت: "إذا أكلت أمام الجميع فسيعرف الجميع أن لديك مالاً مما يعرضك للسرقة!"

قلت: "ولكن لماذا الطعام ليس مجانيًّا؟! إنه سجن!"

قالت: "نعم إنه كذلك ولكنه أسوأ سجون العالم!"

سألت كلوي: "مهلاً كلوي، هل دخلتِ السجن من قبل؟"

"ماذا؟"

"لقد دخلتِ السجن كلوي، أليس كذلك؟"

"بصراحة يا كرستن، كنت متدربة كحارسة سجن"

" حقًا! أين؟ في بريطانيا؟ "

" لا، كنت أود العيش في البيرو وكنت أحتاج إلى عمل مستقر لذا دخلت دورة تدريبية كحارسة سجن في البيرو، كانت تجربة مميزة ولكن اللغة كانت عائقًا، والانخراط كان عائقًا، والغربة أيضًا تمثل عائقًا. . لقد أمضيت 8 شهور في تلك الدورة ولكن لم أشعر بالراحة التامة آنذاك، لذا رجعت إلى بريطانيا مرة أخرى بعد أن تركت أحلامي في العيش هناك "

" ولكن لِم كنتِ تريدين الذهاب إلى هناك؟ "

" لطالما أحببت الذهاب إلى رحلات تخييم في الغابات، أو تسلق الجبال، أو التجديف في نهر فرأيت في البيرو المكان المثالي بالنسبة لي، فالبيرو هي رابع أكبر مساحة من الغابات المدارية، وتسير جبال الأنديز محاذية للمحيط الهادئ، ويجري نهر الأمازون فيها من شرق البيرو بشكل عرضي مرورًا بالبرازيل إلى شرق أمريكا الجنوبية! "

" لم أتوقع أن تكون هواياتك هكذا أبدًا "

" هذه أحلامي التي كنت أقولها لجدتي منذ الصغر "

" ماذا عن والديك؟ "

" كانا قـد اتبعـا أحلامـي أيضًـا ، ولكـن في كولومبيـا حيـث تعرضـا للاختطاف "

قلت لها بأسى : " أنا آسفة لسماعي ذلك ! "

قالت : " هذا ما أخبرتني به جدتي ، فأنا لا أذكر والديَّ جيدًا "

أومأت رأسي بأسى وقلت لها : " وما الذي دفعك إلى الاتجـاه لتهريـب المواد الممنوعة؟ "

" قالت كلوي : " لنفس السبب الذي دفعك إلى ذلك

كلوي حكيمة وبالنسبة لي كلامها كالذهب ، وبعد أن تعرفـت عليهـا أكثر زاد تعلقي بها وحاولت أن أتصـرف مثلـها ولكـن كلـوي دائمًـا لديها لمستها الخاصة في كل شيء ، وهذا أكثر ما أعجبني بها .

37

اليوم 7 في السجن

بشكل أو بآخر يجب أن نتأقلم مع حياة السجن والعزلة عن المجتمع؛ فالسجن كقرية صغيرة ولكن أكثر مشكلة تواجهنا هي الطعام، فيجب أن يتم كل شيء بسرية تامة وقد اعتمدنا اعتمادًا كليًا على الحارسة التي تبادلنا معها الطعام بالهيروين.

كل شيء في السجن يباع، الطعام يباع، الغرف تباع، ملاءات الأسِرة تباع، الملابس تباع، مستلزمات النظافة تباع، دقائق الهاتف الإضافية أيضًا وكل هذه الأشياء في الأصل مجانية ويجب أن تكون متوفرة ولكن إدارة السجن فاسدة وتهوى رائحة الأموال وكذلك المخدرات والسجائر.

في نفس هذا اليوم زارتني أمي في السجن! فقابلتها في مبنى إدارة السجن وحضنتها بشدة، كانت دائمة القول: "سأخرجك من هنا، سأخرجك من هنا" وكانت تمسك بيدي طوال وقت زيارتها ليّ، سألتها عن سبب عدم حضور أبي فقالت إنه مشغول! وهنا تأكدت أن أبي لا يستطيع النظر في عيني بعد كل ما فعلته! هذا من حقه ولكنني

أفتقده بشدة، كنت أقول لأمي عن مغامرتي ثم عن السجن ولكنني لم أتطرق أبدًا إلى موضوع أنني أبيع الهيرويـن مـن أجـل الحصـول علـى الطعام، بل أخبرتهـا أن كـل شـيء متـاح في السـجن لكـي لا تشـعر بالأسى نحوي، عندما انتهى وقت زيارة أمي تركت لي ظرفًا من المـال وخبأته داخل ملابسي لكي لا أتعرض للسرقة من المفتشـات وتركـت الرسالة التي كان مارك يريد أن يعطيني إياها.

أخذت حاجياتي واتجهت مباشرة إلى زنزانتي وكانت كلوي معي تريد أن تعرف محتوى الرسالة بعد أن أخبرتها بـ" مارك" ، والرسالة كانت كالتالي:

إلى كرستن:

كيف حالك؟ آمل أن كل شيء يسير على مايرام هناك في السجن. لقد كتبت لكِ هذه الرسالة ليس لأجلك بل لأجـل خطيـبتي الـتي حثـتني على إخبارك بالأمر قبل أن تعرفي مـن تلقـاء نفسـك عنـدما تـرجعين بريطانيا.

أنتِ تعرفين أنني لم ولن أحتمـل العـيش وحيـدًا في السـنوات العشـر المقبلة، وأنتِ تعرفين أنني لم ولن أحتمل العيش مع فتاة قد تعاملـت

مع مواد ممنوعة وأشخاص خطيرين، وأنتِ تعرفين أنني لم ولن أحتمل العيش مع خريجة سجون من أمريكا الجنوبية.

لذا من فضلك أن تضعي نفسكِ مكاني، وأن تفكري بالآخرين لعلك تفقهين مدى حجم ما فعلته. أنا الآن أعتبرني منسحبًا من حياتك رغم أنني أحببتك وأنا لا أخفي عنكِ أنني لم أشعر بذلك منكِ ومن المستحيل أن أشعر بذلك بعد ما فعلته، فكيف أثق بك إذ أنتِ قد استهنتِ بحياتك ووضعتِها على المحك؟ ولا أظن أنه شيء سهلٌ أن تضعي حياتي أنا الآخر على المحك!

أعتذر لهذه الأخبار السيئة ولكن كلما شعرتِ بأنني أخطأت في ذلك فقط تخيلي نفسك مكاني، وستدركين لماذا طلبت الانسحاب من حياتك والانفصال عنها تمامًا.

*ملاحظة: والداك يعرفان ذلك

تحياتي يا مهربة المخدرات،

مارك هارمنسون

لم يرف ليّ جفن.

قالت كلوي بينما أنا لم أرد: "الحقير! لم يمض لك شهر في السجن

والآن لديه خطيبة ! " أخذت كلوي الورقة وطوتها مرة أخرى ووضعتها داخل الظرف وهي تقول : " سيبقى هذا هنا وسيظل مارك داخل هذا الظرف ، لذا لا نريد أي مشاعر سلبية تجاه مارك لأنه غير موجود في حياتك أبدًا "

قلت وأنا أوشك على البكاء : " لقد تخلى عني بسهولة ! "

قالت كلوي بغضب وهي تحاول إرضائي : " من تخلى؟ مارك؟ من مارك؟ لا أعرف أحدًا بهذا الاسم؟ أو بالأحرى أقول إن ليس له وجود على الأرض " ولكن أنا لم أرد بل بقيت في سريري وبعد فترة من عبارات كلوي لمحاولة تعديل مزاجي التي لم تفلح ذهبت إلى زنزانتها أيضًا وبقيت أنا والرسالة وقد أعدت تكرار قراءتها مرة تلو الأخرى .

وجدت صعوبة في النوم لأن كل ما يشغل تفكيري هو مارك والأسئلة الغامضة حوله ، وأنا أكره الغموض . ولكنني لم أحزن بقدر ما أردت أن أعرف أجوبة أسئلتي .

38

26 يناير 2006

الخميس

اليوم 16 في السجن

مر أسبوعان تقريبًا منذ دخولنا إلى هذا المكان، كان الأسبوعان كسنتين، نقوم بنفس الأعمال الروتينية المملة. في السجن إذا أردت الاستحمام أو غسل الملابس فإن الغرف على يمين الساحة لذا ذهبت أنا وكلوي للاستحمام وأحضرت مستلزمات النظافة. الأمر المزعج عن الاستحمام في السجن هو أن الخصوصية كلمة لا وجود لها هنا أبداً، لذا يجب أن نستحم وملابسنا فوقنا!

في ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه للاستحمام كانت 'العصابة الحمراء' أيضًا هناك، كانت العصابة الحمراء مكونة من 7 إلى 10 سجينات لم أكن متأكدة ولكن استطعت أن أستنتج من هي رئيستهن، كانت بدينة وملامحها حادة وكان حاجبها مقطوعًا من النصف، وكان الوصف المناسب لها أنها كالشيطان!

عندما بدأت بغسل شعري بالماء فقط كانت عيناي مفتوحتين إلى أن

رأيت رئيسة العصابة تقترب مني وهنا أحسست بالخطر ؛ لذا تحاشيت النظر إليها ، اقتربت مني أكثر إلى أن نطقت بكل خشونة : " أريد الشامبو "

أطلت النظر إلى الشامبو للتأكد بأنه ليس أحمر ثم أعطيته إياها وذَهَبت إلى صنبور ماء واستَهلكَت تقريبًا الشامبو كله ولكن كل هذا يهون من أجل اجتناب المشاكل ، عندما انتهت ذهبت إليها وطلبت منها أن ترجعه لي وصدمتني إجابتها ! فقالت : " عندما ألمس شيئًا يصبح لي ، هل تفهمين؟ لي ، لي ، لي " وضحكت ضحكة شيطانية

قلت لها مباشرة و دون خوف : " هذا شيء يخصني وأطالب به "

قالت رئيسة العصابة أو أفضل وصف شيطان العصابة : " يا لبراءتك ! "

جاءت كلوي وقالت للشيطان : " أعطها الشامبو بسرعة ! "

ضحكت الشيطان ثم قالت كلوي وهي تضغط على أسنانها : " قلت لك بسرعة ! "

" ومن أنتِ؟ " سخرت " الشيطان " من كلوي ولكن في المقابل صرخت كلوي في وجهها وهي تقول : " لا أريد أن أكرر ما قلت ! "

في هذه اللحظة كانت السجينات يضحكن ومتحمسات وينتظرن شجاراَ كبيراَ، كنَّ يصرخن ويهتفن لصالح الشيطان، فقامت بدفع كلوي إلى الوراء وهي تقول: "من تظنين نفسك؟ هل تحسبين نفسك شجاعة؟ شجاعة بما يكفي لكي تواجهيني؟" ثم قامت الشيطان بفتح الشامبو وسكبته على الأرض ثم أعطتني العلبة وهي تقول: "شكراً لك، تفضلي" بلطف مصطنع، وفى هذه اللحظة غضبت كلوي غضباَ شديداً إلى أن احمر وجهها وقامت بحركة سريعة بأخذ الشامبو المسكوب وقفزت فوق الشيطان إلى أن أوقعتها أرضًا ودست الشامبو في عينها!

كان صراخ الشيطان عاليًا! فيا لهول هذه اللحظة! يا لعنف هذه اللحظة! ولم تتوقف كلوي عن دس الشامبو في عينها بل وضغطت عليها أيضًا، وبسرعة الضوء كان أفراد العصابة قد أتوا لتحرير الشيطان فقاموا بإبعاد كلوي عن الشيطان ورموها بقسوة على الأرض، كنا أنا وكلوي ضد سبعة منهن!

تلقيت ضربة في أنفي من إحداهن ولكنهن توجهن لضرب كلوي بينما الشيطان ذهبت لغسل وجهها، كانت كلوي مرمية على الأرض تتعرض للركلات والضرب في كل مكان وكانت تنزف بشدة من أنفها

ورأسها وكدمات على ذراعها ورجلها، كنت أحاول إبعادهن عنها ولكن كل مرة أستقبل ضربة على وجهي، كانت السجينات قد تجمعن وهن يضحكن ويشجعنهن بالإسبانية، كنت أصرخ بكل ما أتيت من قوة: "كلوي! كلوي!" ولكن غاب صراخ كلوي بعد فترة وأصبحت تتألم بصمت، كنت لا أعرف كيف أتصرف لإنقاذ كلوي ولكنني رأيت قطعة خشبية طويلة تختص بقفل الباب لذا هرعت إليها وأخذتها ثم اقتربت من إحداهن واستجمعت قواي ثم قلت: "يكفي!" وضربتها على رأسها بأقوى ما أستطيع، وقعت على الأرض باستسلام.

عم الهدوء والسكون الصاخب في المكان، وبينما هذا كنت أرى كلوي مغمضة عينيها، وأطرافها متورمة، ووجهها متهشم، وأحاول أن أراقب حركة تنفسها التي بالكاد تكون ملحوظة وبعد أن تفقدت كلوي نظرت إلى الجميع، كانت الأنظار كلها متوجهه إلي، إلي أنا والجثة.

39

قتلت سجينة، والآن أسوأ كوابيس حياتي ستتحقق.

تم إبعادي عن مكان المشاجرة وانا أحاول أن أركز في حركة تنفس كلوي، وتم تكبيلي ونقلي إلى المبنى الذي لم أعرف في البداية ما الحاجة له، كان يسار الساحة وكان المكان كئيبًا، مظلمًا والحياة هناك شبه معدومة، نور أبيض خافت، أصوات مرعبة، وكأنه بيت مسكون. كنت أسير في ممر طويل مليء بالزنزانات وكانت الزنزانات كالغرف ليس لها قضبان ولا يمكننا أن نرى ما خلف الزنزانة وحتى الباب كان حديديًّا وله فتحة تغلق وتفتح من الخارج، كانت زنزانتي في آخر الرواق ودخلتها.

40

كل ما أراه أصبح بالألوان الحيادية، أسود وأبيض، وقليل من تدرجات الرمادي.

هل بسبب أنه لا توجد أشياء زاهية هنا؟ أم أصابني عمى في الألوان؟

الوحدة والضغط النفسي أصبحا لايفارقاني، لا يمكنني أن أرمش بعيني أو أشعر بأطرافي، أنا أعرف هذا الشعور، إنه الموت البطيء، يتسلل إلى جسدك بأبطأ ما عنده لكي يتسنى له تعذيبك حتى آخر خلية حية فيك.

الحشرات والقاذورات على كل شبرٍ من هذه الأرض، الجدران تضيق بي كل يوم أعيشه، مكان سيء، إنه السجن الانفرادي.

41

كانت الغرفة عبارة عن لا شيء. حرفيًا لا شيء!

أخبرتني الحارسة بأنني سأسجن هنا لفترة لأنني قتلت! قتلت روح إنسان! ولكن أقسم أنني كنت أريد أن أدافع عن كلوي! كلوي التي لا أعرف ما الذي تفعله الآن!

كنت أعيد أحداث العراك مرة تلو الأخرى في ذهني، كنت أول مرة أخوض عراكاً حقيقيًا! لأنني من النوع الذي يتجنب المشاكل ولكن قَدَرُنا أن تتبعنا المشاكل! في السجن لا أستطيع أن أتجنب المشاكل! هذا مستحيل!

شعرت بالأسى لكلوي، فأنا لا أعرف ما حالتها، وهي لم يكن لها علاقة بكل هذا، يا ليتني أبقيت الشامبو لدى الشيطان ولم آخذه فالنتائج لا تسر أيًّا من الطرفين.

وأخبرتني الحارسة كذلك بأنني في سجن القتلة، السفاحات والمتخلفات عقليًا. المكان فعلاً يقود إلى الجنون، وهذا ما أرعبني، كنت أخاف أن أصاب بالجنون من ظلمة المكان فطلبت من الحارسة إنارة شمعة على الأقل! فاستجابت لطلبي! وهنا تذكرت فرناندو

وكم أنا أحتاجه في هذه اللحظة ولكنني غير مستعدة أبداً لخدعة ماكرة أخرى من قِبل أي متعامل مع مخدرات .

أحضرت الحارسة شمعة وقالت : " إن كنت تنوين حرق المكان ، فخطتك تبوء بالفشل فلا شيء يشتعل في الداخل "

لم أرد عليها فلم يكن هذا ما أريده ، وضعت الشمعة على الأرض وبدأت أتأملها وكيف هي طويلة وتتراقص إلى اليمين وإلى اليسار ، وكنت أحاول أن أسجل أطول فترة زمنية تبقى الشمعة ثابتة ! وهنا أيقنت أنني في أولى مراحل الجنون !

كان على الأقل في السجن الانفرادي الطعام مجاني ولكنه قليل ، أنام على الأرض وكنت أضع ملابسي كملاءة سرير أجتنب الجلوس مباشرة على الأرض القذرة وعلى ضوء الشمعة غير الثابت أنام .

في فترة السجن الانفرادي استفدت من جميع أجزاء الشمعة فكسرت الشمع الطويل إلى نصفين وثبتُّ الشمعة في مكان على الأرض ، أما باقي الشمع فكنت أقشره بأضافري وكل قشرة كنت أقطعها ، وما إن أستهلك الشمع كله أطلب من الحارسة شمعة أخرى ، وعندما سألتني عن حاجتي للشمع أخبرتها بأنني أحمي نفسي من الجنون ، أو هذا ما أظنه .

42

بعد شهرين من الانفراد بنفسي والعزلة، تم إخراجي من ظلمات السجن الانفرادي، كان الوقت ليلاً والجميع في سكون تام ونائمون، لم تتسنَّ لي الفرصة في أن أطل على كلوي، حدث الأمر بسرعة وأُرسلت إلى زنزانتي.

***

26 مارس 2006

الأحد

اليوم الـ 75 في السجن

في الصباح خرجت من زنزانتي إلى زنزانة كلوي وكانت الطامة الكبرى أن زنزانة كلوي فارغة! لا كلوي موجودة ولا حتى أغراضها موجودة! ركضت إلى الساحة بهستيرية وكان هناك سجينات ولكن كان هناك شيء غريب يحدث، فكان الجميع ينظرون إليَّ بخوف ويفسحون لي المجال إذا أردت أن أعبر، الهمسات تتردد: جاءت القاتلة، غادرت القاتلة!

اقتربت من سجينة زنزانتها في نفس طابقنا – أنا وكلوي – كان المكـان هادئًا وجميع الأبصار تتجه إليَّ أنا والسجينة التي اقتربت منها .

قلت للسجينة وقد بدت خائفة " أريد أن أعرف . . أين كلوي؟ "

توسلت السجينة : " أرجوك لا تؤذيني ! "

" أنا لست هنا لإيذاء أحد فقط أريد أن أعرف أين كلوي ! "

قالت السجينة بتردد : " كلوي؟ لا أعرف من كلوي ! "

قلت لها : " بل تعرفين ! إنها تشبهني تقريبًا وزنزانتها مقابل زنزانتك "

" أ . . . أ . . . لـ . . لقد غا غا . . "

قاطعتها إحدى الحارسات : " نقلت إلى سجن آخر ! "

هرعت للحارسة : " هل هي بخير؟ "

قالت : " إنها في مستشفى السجن الآن وإصاباتها بليغة "

هنا بدأت أتنفس بسرعة وبـنفس سـرعة أنفاسـي ذهبـت إلى زنزانتهـا وفعلاً لا شيء لها موجود ! إلى أن رفعت خشبة السرير ورأيت أكياس الهيروين الصغيرة الـتي صـنعتها كلـوي ! أخـذتها ؛ فهـي سـتطعمني وستبقيني على الحياة .

43

كنت آكل وجبة واحدة فقط في اليوم، فكنت أريد أن أدخر مخدرات للمستقبل، إلى أن جاء ذلك اليوم، عندما بدأت أبحث في أغراضي عن مشط، ورأيت رسالة مارك وبدأت أقرؤها، وكل مرة أقرؤها تحترق أعصابي أكثر وأكثر إلى أن فقدت عقلي ومزقت الرسالة، أخذت أصرخ وأبكي وكسرت أغراضي وحولت الزنزانة إلى فوضى عارمة، ضعفت أمام نفسي، لقد تحملت الكثير وكتمت كل شيء داخل نفسي، نقل كلوي، خداع لوسي، وخيانة مارك دمرتني تمامًا!

وأنا أقف في وسط الفوضى العارمة لمحت أكياس الهيروين ، وبلا أي أحساس فتحت أحد الأكياس ونثرت البودرة على يدي وبدأت أشم تدريجيًا، كان شعورًا غريبًا جدًا، لم أشعر بذلك الشعور من قبل، استلقيت على السرير وأغمضت عينيَّ إلى أن انتابني ألم حاد في رأسي، ومغص وبدأت بالشعور بالغثيان والتقيؤ! وضعت كل البودرة إلى الكيس مرة أخرى ولكن كانت الدنيا تدور من حولي فأنا لم أجرب أيًّا من هذه المواد أبدًا!

بدأت أستوعب ما فعلته ولكنني توصلت إلى استنتاج، أنا مسجونة لـ10 سنوات! وليس لحياتي أي قيمة سواء بقيت في السجن أو

خرجت منه! سأبقى تعيسة حتى بعد أن أخرج من هذا المكان؛ لـذا لا شيء يهمني الآن ولا حتى حياتي.

بعد أن كان روتيني اليومي مملاً، إضافة الهيروين أحدثت تغيراً جذرياً لحياتي، على الرغم من آلام الرأس والمغص الحاد فإنـه يعطـي شـعور الانتشاء المريح وكأنني تخلصت من جميع مشاكلي! إلا انـني في الواقـع بدأت في مشكلة أعمق.

كنت فقط أريد نسيان كل ما مررت به، كنت أريد ان أصـبح سـعيدة بأي ثمن ولو كان للمخدرات تأثيراً سلبياً فإنني لا أهتم فعليًـا إن كـان هذا سيهدد حياتي، فلا شيء لأخسره بعد اليوم، لا شيء يسـتحق أن أعيش لأجله.

***

قضيت ثلاثة أسابيع أتعاطى الهيروين من الأنف وكنتُ أزيد في الجرعة تدريجياً أيضًا، وبعد هذه الثلاثـة أسـابيع الـتي بالكـاد دخـل أثناءهـا الطعام في جسدي النحيل أصـبحت هزيلـة الجسـد، شـاحبة الوجـه، وتحت عينيَّ هالات سوداء، كان يبدو عليَّ أثار التعاطي ولكـن كنـت أمضي جل وقتي في زنزانتي؛ لذا كنت أبعد عني الخطر وأنا لا أعـرف أنني أتعاطاه.

44

16 أبريل 2006

الأحد اليوم الـ 96 في السجن

في الظهيرة كنت مستلقية على سريري عندما نادتني حارسة سجن : " كرستن هارمنسون "

انتفضت وأخفيت فوضى الهيروين لأنها كانت رئيسة الحارسات .

قالت رئيسة الحارسات : " ماذا كنتِ تفعلين هناك؟ "

قلت لها : " لا شيء . . فقط أرتب أغراضي "

قالت وهي تضع يدها على أنفها : " حسناً، حسنًا . . حسني مظهرك ورتبي شعرك الذي يشبه أعشابًا متيبسة وغيري ملابسك، أوه ما هذه الرائحة؟ ! إن الرائحة هنا كرائحة مايونيز مخلوط مع المخللات، آه كم أكره المايونيز "

قلت وأنا أصرخ في وجهها : " إذا استمررتِ في السخرية مني أقسم أنك ستتبعين من قتلتها ! "

" على مهلك يا فتاة . . لا تتفائلي كثيراً فلديَّ رشاش يقطع جسدك

آلاف القطع ثم نشويه ونضع عليه صلصة ونستمتع به أنا والحارسات "

لابد أنها جائعة (قلت في نفسي) ثم قلت لها : " لماذا أحسن من مظهري؟ هل هي زيارة؟ "

قالت الرئيسة : " نعم . . وإنه رجل "

اندهشت وتذكرت مارك! ولكن هل يمكن أن يكون فعلاً هو مارك! ولكن ما الذي يريده؟ !

ذهبت إلى غرفة الزيارات، وكان هناك رجل ولكنني لا أعرفه!

قلت بتردد للرجل : " ربما أنا لست الفتاة المطلوبة "

قال الرجل : " بلى أنتِ يا كرستن! ألا تذكرينني؟ "

قلت له وأنا أشك بنفسي : " لا . . من أنت؟ أنا لا أعرفك "

قال الرجل : " أنا فرناندو "

قلت له " فرناندو؟ حارس سجون الشرطة؟ "

قال فرناندو بحماس : " نعم! "

" يا إلهي . . أنا آسفة! أنا أتذكرك ولكن حدثت أشياء كثيرة و . . . "

قاطعني فرناندو : "لا عليك" ثم استرسل في الكلام : "أنا أتفهم وضعك، بالمناسبة هل اتبعتِ نصيحتي؟"

قلت له : "نصيحة؟ أي نصيحة؟"

قال فرناندو "عن حسن السيرة . . عن اجتناب المشاكل"

قلت : "في الواقع أفسدت كل شيء، لقد قتلت سجينة في عراك، وتم حبسي في السجن الانفرادي لشهرين! والآن هددت رئيسة حارسات السجن" . . صمتت أتامل ملامح فرناندو الهادئة للحظة ثم أكملت : "أصبحت فتاة سيئة، سيئة جداً، أمسيت لا أخرج إلى الساحة؛ فالسجينات يخفن مني ويعم الهدوء وتتناقل الهمسات في أي مكان أكون فيه، وأُعامل كالمسخ! يفسحون لي المجال ولا أحد يعترض طريقي ولا أحد يكلمني ولا أحد أصلاً يريد أن يرى وجهي" بدأت بالبكاء ثم أكملت : "ومن بعد ذلك العراك لم أرَ صديقتي كلوي أبداً وقبل أيام جاءت أمي وأعطتني رسالة من مارك الذي بدوره أخبرني بأنه يريد أن ننفصل وهو بالفعل اتخذ له خطيبة! وفوق كل هذا لم تفكر أمي في أن تعين محامياً يدافع عني ولا حتى تكلمت مع أبي ولا جاء لزيارتي! انا أعرف لماذا، لأنني عار عليهم، يتمنون لو أبقى هنا

إلى أن أمـوت وتتـوارى جـثتي وراء غبـار السـجن ولكـن لا بـأس سيحصل كل هذا في زمن قصير جداً فلا شيء لأخسره بعد اليوم . "

قال فرناندو ببرود : "انتهيتِ؟ "

قلت : "آسفة إن بالغت وصرخت في وجهك "

أمسك بيدي وقال : "لا عليك من ذلك . . رغم جميع الصعوبات التي ذكرتِها سأساعدك ، سأخرجك من هنا ، أعدك "

سحبت يدي ثم قلـت : "لا أحـد يسـتطيع مسـاعدتي ، لا أحـد " ثـم وقفت وهممت بالمغادرة : "آسفة فرناندو . . حتى أنت لا تستطيع "

45

23 أبريل 2006

الأحد

اليوم الـ103 في السجن

أصبحت معتادة على الوحدة رغم أنني كنت قبل دخولي السجن اجتماعية وأستطيع كسب قلوب الناس بسرعة، ولكن في السجن يسلب منك كل شيء جميل، من مظهرك إلى أعماق نيتك.

في اليوم عينه وجدت ورقة في زنزانتي وكانت ورقة تهديدية بالقتل إن لم أترك للمرسلة المال.

المال أم قتلك. اتركي المال في الصندوق الذي سأتركه على الطاولة الأخيرة، وسنعرف إن كنتِ تراقبيننا!

لم أعطِ اكتراثًا ولا حتى واحدًا بالمئة، فليقتلوني إن شاءوا ولكن طالما ما زلتُ أنا حية لن يلمسوا مالي. حياتي ليس لها قيمة بعد أن دخلت السجن، أصبح الهيروين أغلى ما عندي ولا شيء فوقه أكثر أهمية، أدمنت هذا المخدر لأنه دخل إلى روتيني اليومي، صباحًا ومساءً وما

بينهما . لا أنكر أن هيئتي الخارجية قد تغيرت ولكنني حقًا لا أهتم .

***

" أين المال؟ ها؟ أجيبيني هيا . . إذاً المال وإلا سأقتلك ! "

استيقظت في الصباح وهذه المجنونة قد دخلت زنزانتي ووضعت يدها حول رقبتي تحاول خنقي ! كنت مصدومة تمامًا حتى إنني لم أجد الوقت للتفكير فيما يحدث !

" لن تخبريني إذاَ، حسنًا أنتِ أردتي ذلك، أستطيع قتلك هنا ولا أحد سيعرف أنني أنا الفاعلة "

وأخرجت أداة حادة كالسكين، وأخذت تغرزها في جسدي ! تطعنني في كل مكان ! بينما كنت عاجزة تمامًا عن الكلام، وكانت أيضًا تعد الطعنات !

" واحد . . . اثنان . . . ثلاثة . . . "

إلى أن أصابتني طعنة في وجهي وتحول كل شيء إلى ظلام حالك .

46

كنت أرى نفسي مستلقية على سرير في غرفة أشبه بغرفة مستشفى، كنت جثة باردة شاحب وجهي، الأنابيب فوق أنفي، وفي فمي وعلى يدي، وجسمي مغطى بملصقات كبيرة و صغيرة على وجهي، وشاش أبيض على عيني اليسرى، وكانت الممرضة تسجل كل ما هو مكتوب على الشاشات التي بجانب جسدي، وعلى الكرسي الذي كان بجانب جسدي رجل كان ينظر إلى الشاشات يعجز عن فهم ما الذي تدونه الممرضة.

كنت قد اقتربت من ذلك الرجل الذي حول مسار نظره إلى وجهي منتظراً مني أن أستيقظ، يا للهول! إنه فرناندو! ولكن ما الذي أحضره إلى هنا؟! ولماذا يبدو حزينًا؟ هل لهذه الدرجة أنا أهمه؟ ومهلاً.. إذا كنت نائمة هناك فكيف أستطيع رؤية نفسي؟!

أخشى أنني... روح كرستن! هل هذا يعني أنني في آخر لحظات حياتي؟ هل هذا يعني أنني أموت؟ ولكن لا أريد أن أموت! أعني في الواقع من أجل فرناندو الذي لا أريد أن أحبط آماله.

قال فرناندو: "ما حالتها الآن يا طبيب؟"

"تلقت كرستن سبع طعنات، اثنتين في وجهها ومن ضمنها واحدة فوق جفن عينها ولكن يؤسفني القول إنها فقدت البصر في العين اليسرى، كما أنك لو لم تتبرع لها بالدم لكانت الآن جثة هامدة"

فرناندو تبرع لي بالدم؟! أنا فعلاً لا أريد الموت ويمكنني التكيف مع عين واحدة ولكن سأفعل أي شيء من أجل البقاء على قيد الحياة. . في نفس اللحظة أحسست بكهرباء كأنها سرت في جسدي واستيقظت فجأة وعدت إلى جسدي، ثم حركت يدي بصعوبة ولاحظ فرناندو والطبيب ذلك ثم قال فرناندو: "كرستن! لقد استيقظتِ! أخيراَ!"

أخبرنى الطبيب بتشخيص حالتي وعرف الطبيب أنني أتعاطى مخدر الهيروين وعندما عرف فرناندو ذلك قال للطبيب إنه يريد برنامج علاج المدمنين.

أخبرتهما: "ولكنني لست مدمنة"

قال فرناندو: "كرستن. . دعيني أتصرف"

بعد ذلك أكمل الطبيب وفرناندو حديثهما بالإسبانية لكي لا أفهم. بعد أن انتهى فرناندو من كلامه تركنا الطبيب ثم قال فرناندو بحماس: "لقد وكلت محاميًا لقضيتك، وتم إعادة النظر لقضيتك وتم

تخفيضها إلى سبع سنوات ! "

قلت وأنا غير مصدقة : " حقًا؟ ! سبع سنوات ! "

قال فرناندو : " نعم ! "

قلت : " كيف؟ ! أعني لابد أنه محامٍ بارع "

قال : " نعم ، ولكن يا كرستن أنا لديَّ خطة تخرجك من هنا في الحال "

قلت : " في الحال؟ ماهي؟ "

قال فرناندو والابتسامة لا تفارق وجهه : " الهروب من السجن "

قلت باندهاش : " ماذا؟ ! "

أجابنى : " لا تخافي . . لديَّ خطة موثوقة وفعالة "

قلت له : " الأمر ليس بتلك السهولة يا فرناندو "

قال : " حسنًا . . الخطة ستكون كالتالي ، سنهرب من هذا المشفى ؛ لذا يجب أن نستغل كل لحظة هنا ، سنهرب من النافذة والنافذة موصدة بقفل ، مفاتيح القفل موجودة في غرفة كاميرات المراقبة ، وكاميرات المراقبة تراقب الممرات فقط وغرف المستشفى الخاصة كالمختبر والصيدلية . في يوم الهروب وبما أنني حارس سجن فسأرتدي ثياب

الحراس وسأمثل أنني أحرس غرفتك، ثم سأذهب إلى غرفة كاميرات المراقبة وأفتح قفل النافذة وأخرج، والساعة 12 منتصف الليل سأكون في الخارج وما أريده منكِ أن تفعليه هو أن تقفزي من النافذة وتركضي باتجاه السيارة السوداء ومن هناك سنسافر إلى البيرو بهويات مزيفة "، ثم أكمل: " كل ما ستفعلينه هو أن تركضي لسيارتي فقط لا غير "

قلت: " فقط؟ "

قال: " نعم، فالحراسة في هذا المستشفى ضعيفة جدًا ولا يوجد أحد يحرس المستشفى إلا في البوابة الأمامية "

قلت: " حسنًا . . تبدو الخطة غير معقدة، ولكنى خائفة ممَّا بعد الهروب "

قال: " إن الخطة محكمة ومدروسة ولا يمكننا أن نخطئ"

عندما قال فرناندو إننا سنذهب إلى البيرو تذكرت كلوي على الفور، وفكرت في إمكانية مساعدتها ورد الجميل لها ولكن هذا مستحيل، لأنني لا أعرف أساسًا أين كلوي! ولا فرناندو يعرف، وحتى لو عرفنا سيكون من المستحيل أن نخطط لخطة مُحكمة لإخراجها من السجن.

قال فرناندو : " ولكن . . لدينا مشكلة لا يمكن تجاهلها "

قلت : " مشكلة؟ ما هي؟ "

قال فرناندو وكأن هموم العالم يحملها على كاهليه : " أنتِ "

" أنا؟ "

" تعاطي مخدر الهيرويـن كرستن! هذه مشكلة عويصة ولا يمكن تجاهلها! "

قلت : " لقد أخبرتك يا فرناندو بأنني لست مدمنة! "

" أعراض الإدمان لا تظهر هكذا! لقد تم إعطاؤك دواء لمنع الشعور بالرغبة في التعاطي! لا أفهم لماذا فعلتِ ذلك ولا أعرف كيف حصلتِ عليها ولا حتى أريد أن أعرف "

قلت : " ولماذا أنتَ غاضب إلى هذه الدرجة؟! "

سكَت فرناندو للحظة ثم قال : " أنا لست غاضبًا " ثم أردف : " أنا فقط أريد . . . أن أحافظ . . . "

" تحافظ على ماذا؟ "

" كرستن . . هذا يصعب شرحه "

قلت له بهدوء : "فرناندو، قل لي الصراحة، لماذا أنتَ مهتم جداً بي؟ هذا واضح لا داعي للإنكار"

تكلم فرناندو بعد أن فكر بكلامي وتدارك الأمر : "في الواقع لقد سمعت قصتك أنت ولوسي، صحيح أن ما فعلته كان خطأ ويجب أن تُعاقَبي عليه ولكن أظن أن ما حدث لك دون السجن كافٍ كعقاب كانفصالك عن "مارك" مثلاً، وأن قوانين الدولة بالغت في وضع المدة المطلوبة للخروج، كما أنك لم تحصلي على المكافأة على تهريب الممنوعات، ولا وسيلة للحصول عليها"

قلت بتشاؤم : "صحيح، لن أستطيع الحصول عليها فالقانون لا يحمي المغفلين"

"حسنًا، بسبب تعاطيك للمخدر القوي الهيروين سنبقى هنا للخمسة أيام القادمة للتخلص من أعراض الانسحاب أولاً ثُم الهروب، وسنهرب يوم السبت القادم بعد التأكد من جميع الفحوصات"

47

24 أبريل 2006

الإثنين

كان قد مر ثلاثة أشهر تقريبًا منذ دخولي السجن، ويوم واحد منذ دخولي المستشفى، وبعيدًا عن التشاؤم هذا المكان كالجنة على الأرض، إنه أفضل بكثير من السجن، الرائحة طيبة والمناظر من النافذة – حتى مع القضبان – جميلة وكأنني عمياء وقد أبصرت للمرة الأولى!

آلمني ظهري من التسطح فنهضت من السرير، وكانت كل بقعة من جسدي تؤلمني! أردت المشي ولكن في كل خطوة أجد صعوبة بالغة لأخطو الخطوة التالية، وفي تلك اللحظات التي كنت أعاني فيها دخلت الممرضة وفي يدها صينية الغداء وقالت لي وهي تساعدني على الرجوع إلى السرير: "كرستن.. يجب أن تجلسي حتى تلتئم جروحك"

سألت الممرضة: "متى ستلتئم جروحي؟ أعني متى سأتمكن من المشي؟"

قالت الممرضة: "تحتاجين إلى الوقت، ولكن لم العجلة؟ هل تريدين

الرجوع إلى السجن؟ " قلت : " لا ، ولكنني أشعر بالملل "

قالت : " حسنًا . . أنهي غداءك ثم سنذهب إلى جولة "

غادرت الممرضة ولكنني وجدت صعوبة في الأكل ، فبعد تعاطي مخدر الهيروين بالذات يصبح الطعام قاسيًا على المعدة ، رغم أنه يشبه الطعام الذي كنا نأكله أنا وكلوي في السابق .

***

" كرستن . . هل أنتِ جاهزة؟ "

جاءت الممرضة ومعها كرسي متحرك ، بدت الممرضة لطيفة وغير حادة الطباع أبدًا ، لذا ساعدتني على الجلوس واصطحبتني إلى الخارج . للمرة الأولى منذ دخولي السجن أرى أفق السماء ! للمرة الأولى منذ دخولي السجن أرى السماء بصورة كاملة دون أي جدران أو قضبان ! للمرة الأولى منذ دخولي السجن أتنفس هواء نقيًا ، فكنت أتنفس بعمق محاولةً تنظيف رئتيَّ من آثار تلوث هواء السجن ، وكنت أستعجل في أخذ الزفير والشهيق حتى تسارعت دقات قلبي وأصبحت ألهث وكأنني أنهيت سباق ماراثون .

سألتني الممرضة : " لم تنظرين إلى السماء وكأنها جديدة "

قلت : " لأنها بالفعل جديدة بالنسبة لي "

ابتسمت الممرضة لإجابتي، وبدأت تمشي بي وأنا على الكرسي المتحرك في الساحة الأمامية للمستشفى إلى أن استقريت على كرسي.

قالت الممرضة : "هل لي أن أسألك شيئًا يا كرستن؟"

قلت : "بالطبع نعم"

سألت الممرضة : "بصراحة.. ما الذي ربطك مع فرناندو؟"

تعجبت قائلة : "فرناندو؟" ثم أكملت : "إنه صديق يحاول المساعدة لا أكثر ولا أقل"

صمتت الممرضة ثم قلت : "لماذا؟ هل هناك خطب ما؟"

قالت : "لا.. اعتقدت أنكما أكثر من ذلك!"

قلت : "لقد تعرفت عليه هنا، في مركز الشرطة"

قالت : "وبهذه السرعة سيساعدك على..." توقفت قليلاً ثم همست : "الهروب؟"

"ماذا؟!" انصدمت ولكنني حاولت أن أكون على طبيعتي

قالت : "أعتذر، ولكنني سمعت بخطة الهروب الخاصة بك"

قلت : "أي خطة هروب؟ لم أكن أريد الهرب!"

قالت : "توقفي عن الكذب! لا تخافي.. أنا فقط أريد الهرب معكما"

قلت وأنا متعجبة : "تهربين معنا! لماذا؟هل أنتِ . . . ؟ "

قاطعتنى : "كرستن حبيبتي . . أنا سجينة ومطلوبة للعدالة . . لقد هربت من السجن إلى مستشفى السجن"

قلت وأنا أستهزأ بها : "خطة هروبك ذكية جدًا! بل عبقرية! حتمًا أعجز عن التعبير ! "

قالت الممرضة : "هذا ليس وقت الاستهزاء ! كنت مرغمة ! "

قلت : "كيف كنت مرغمة؟ "

قالت الممرضة : "دخلت السجن بتهمة القتل"

سألتها : "كيف أصبحتِ قاتلة؟ "

قالت الممرضة : "هل تريدين سماع القصة؟ "

"كلا . . إذا كنت لا ترغبين في سردها"

"حسنًا، أختي التوأم وأنا كنا نعمل ممرضتين في هذا المستشفى، ثم قتلت رجلاً انتقامًا منه" قالتها بكل حقد

"كيف تقتلين أحدًا انتقامًا منه؟ ! "

قالت الممرضة : "مثلما قتلتِ السجينة يا كرستن ! "

قلت : "قتلتها دفاعًا عنا . . كلوي وأنا"

قالت الممرضة وهي لا تكترث : " فليكن ! "

قلت : " لماذا قتلته؟ "

قالت : " هذا هو الجزء الذي أتجنب سرده "

قلت : " حسنًا . . أكملي القصة "

" في نفس يوم محاكمتي هربت من السجن ، ذهبت في المساء إلى منزل أختي التوأم ، ثم قتلتها " وفي هذه اللحظة انهمرت الدموع من عينيها وأكملت : " دفنت أختي بيدي ، ثم أخذت هويتها ونسبت كل أوراقها وشهاداتها وجميع ما يخصها لي ، والجميع الآن يظن أنني أنا الحقيقية . . لقد هربت من السجن للأبد ولكنهم لم يلحظوا الفرق أبدًا بيني أنا وأختي والآن الجميع يعاملونني على أنني أختي التوأم 'ماريكروس' "

صَمتت قليلاً تتأمل في تعابير وجهي التي تعني لا شيء لأنني لم أفهم أي كلمة مما قالته ثم قالت : " قتلت ودفنت أختي والآن الجميع يظنون أنني ماريكروس "

" من أي مسلسل تلفزيوني اشتققتِ هذه القصة المؤثرة؟ "

اندهشت الممرضة قائلة : " هل تقصدين أنني كاذبة؟ ! "

قلت : " وما رأيك؟ "

" اسألي الناس عن ماريكروس واسـألیهم عـن هـویتي الحقیقیـة أنـا : سیلفیا ! "

سألتها : " وكيف سأناديك؟ ماريكروس أم سيلفيا؟ "

قالت ماريكروس : " كما قلت ، سيلفيا هربت مـن السـجن إلى الأبـد كما يعرف الناس "

حزنت كثيرًا عندما بدأت أصدق أحداث هذه القصة ، فكيـف لهـا أن تقتل أختها من أجل الحرية! ثم قلـت لهـا : " قتلـت روحًـا ودخلـت السجن ثم قتلت آخر للخروج منـه! كيـف تسـرفينَ في أرواح النـاس لمصالحك الشخصية؟ ! " بدوت غاضبة هنا

قالت : " أريد أن أهرب معكما . . هذا الذي أريده فقط ! "

" تستطيعين تقديم استقالتك والخروج من هنا بكل سهولة ! "

قالت ماريكروس : " أحد طاقم المستشفى يعرف هويتي الحقيقية وهـو يطلب مني المال ليكتم الخبر "

قلت بلا اكتراث : " يا إلهي حقًا؟ " ثم أكملت : " أنتِ تستحقين ذلك أيتها القاتلة ، والآن أريد أن أرتاح في غرفتي "

قالت ماريكروس : " لحظة ، هل أفهم من كلامك بأنك لن تهربيني؟ "

قلت بصرامة : " لا "

قالت : " كرستن . . أنا لن أتوسل لأنك تعرفين بالضبط مـاذا سـأفعل إذا لم أهرب معكما "

قلت : " أريد أن أذهب إلى غرفتي فحسب ! "

قالت ماريكروس محاولة منها أن تخيفني : " أسـتطيع أن أشـي بـك ! " ولكن في المقابل أخفتهـا قائلـة : " وأنا أيضًـا أسـتطيع أن أشـي بـك ، وسيكون الضرر العائد إليك أكبر ! أما أنا فلن أتضرر "

قالت : " بلى . . سيقبضون عليك وعندها ستضاف عشـر سـنوات إلى مدة حبسك " "

قلت : " لن يفعلوا ذلك دون دليل قاطع يـا بلـهاء ! أمـا أنـتِ فاختبـار كشف بصمات كافٍ لإعدامك ! "

في هذه اللحظة سكتت ماريكروس تمامًـا ، ثـم عنـدما وصـلنا الغرفـة بدأت تتوسل إليَّ وتخبرني بأنها فقط تحتاج إلى توصيلة ؛ لأن السيارات تُمنع من التواجد في أوقات محددة وأنـواع السـيارات الموجـودة محـددة وقائمة من القوانين الأخرى .

48

27 أبريل 2006

الخميس

قبل يوم الهرب

عانيت في الأيام الماضية من أعراض انسحاب الهيروين من جسمي، وكنت أعاني أيضًا من الحاجة إليه ، كان الأرق يلازمني والتوتر والقلق، مع مغص حاد في بطني، وتقيؤ وألم في الرأس، ولكن هذه الأعراض تزول تدريجيًا ومع وجود الأدوية ومسكنات الألم فإنني بحالة جيدة، ولكن تبقى هناك مشكلة أخرى وهي حركتي غير السريعة.

جاء فرناندو في المساء وأخبرته عن الألم الذي يحدث أثناء المشي، وأخبرته بعد ذلك عن الممرضة ماريكروس إلى أن خطر في باله فكرة فقال: "يمكننا أن نستخدم ماريكروس كعنصر مساعد لك!"

قلت لفرناندو: "هل تقصد أن تساعدني في الهرب؟"

قال: "نعم! ستجلسين على الكرسي المتحرك وهي ستساعدك،

كرستن كيف لم تفكري بذلك؟ ! "

قلت : " كنت أفكر بقصتها ما إذا كانت حقيقية أم من نسج الخيال "

قال : " أتفق معك في هذه الجزئية ولكن لدينا جانب آخر نستطيع الاستفادة منه من ماريكروس، متى ستأتي مرة أخرى؟ "

قلت : " ستأتي لتقدم العشاء، ربما الساعة السابعة "

قال فرناندو : " حسنًا " ، ثم أردف : " ألم أعدك بأنني سأخرجك من هنا؟ " ، كان يقولها بكل انتصار

ابتسمت ابتسامة انكسار وانهزام، ثم ركزت بنظري على التلفاز، ثم رفعت الصوت لأرى أن الأخبار تعرض صوراً لكيفية الإمساك بهاربين من السجن المكسيكي 'إل تشابو' ومقتل شرطيين أثناء الإمساك بهما، تسارعت دقات قلبي، ما هذه المصادفة الغريبة المخيفة؟ ! كانو يعرضون خطة الشرطة وكانت خطتهم تطويق المكان وإن عثروا على أحدهما يقومون بالتهديد بالمسدس، والقتل إن لم يستجب للتهديد! نقاط تفتيش داخل المدينة وفي مخارجها، شرطة فى كل مكان، صورهما معلقة فى كل مكان، كلاب بوليسية تنبح فى كل مكان، الشرطة تحمل أسلحة فتاكة وخطيرة، والبحث لن يسأم

منه مع وجود كل هذه القوة العسكرية الكبيرة.

أغلق فرناندو التلفاز ثم قال: "سحقًا.. وكأنهم يعلمون أننا سنهرب!" ثم لاحظ علامات الخوف والقلق البادية على وجهي ثم قال: "كرستن.. لا تخافي.. إنهم في المكسيك ونحن في الإكوادور، أنظمتنا مختلفة، طرقنا مختلفة.. تقريبًا"

***

عندما جاءت الممرضة للعشاء، وضعت الصينية أمامي ثم قلت: "حسنًا ماريكروس، ستذهبين معنا"

قالت: "أوه يا إلهي.. شكرًا كرستن، أشكرك"

قلت: "سنهرب غداً في منتصف الليل من هذه النافذة" وأشرت إلى النافذة: "و سيكون فرناندو بعيدًا عنا في السيارة؛ لذا ستساعديني في الذهاب إليه بالكرسي المتحرك، أليس كذلك؟"

قالت ماريكروس: "نعم، بالطبع" ثم ذهبت

49

28 أبريل 2006

الجمعة

يوم الهرب

كما في الخطة، جاء فرناندو قبل تنفيذ الهرب بخمس ساعات لفتح قفل النافذة وكانت ماريكروس قد جهزت كل شيء للهروب.

انتظرت إلى الحادية عشرة والنصف مساءً لنكون جاهزتين تمامًا للهرب – ماريكروس وأنا – وساعدتني على الجلوس على حافة السرير. لم تغضّ ماريكروس النظر عن النافذة ولو للحظة! فكانت تنظر إليها بترقب وتركيز شديد حتى لو كان كل شيء في الخارج ظلامًا حالكًا!

بينما كانت على النافذة كنت أنا أرتجف وأتنفس بصعوبة كبيرة.

قالت ماريكروس بعد أن لاحظت هذه الأعراض: "سأكون معك.. لا تخافي" ثم أومأت رأسي كناية عن الإيجاب وأكملنا الانتظار، ولكن كانت هذه اللحظات من أطول اللحظات في حياتي، فالثواني تسير كالدقائق والدقائق تسير كالساعة.

****

صاحت ماريكروس : "أصبحت الساعة الثانية عشرة!" ثم حاولت النهوض لأرى من النافذة أي علامة لـ "فرناندو" ، ساعدتني ماريكروس آنذاك وعندما نظرت إلى النافذة لم أرَ شيئًا! إلى أن رأينا من بعيد ضوءًا خافتًا يقترب ويقترب ليصبح أكثر اضطرامًا، فتأكدت حينذاك أن فرناندو فعلاً سيساعدنا وستكون الحرية على بعد مسافة قليلة!

أسرعت ماريكروس إلى النافذة وفتحتها ثم قفزت وناولتها الكرسي المتحرك والآن حان دوري للقفز، وأدركت أن أي خطوة أخطوها تعتبر نقطة اللا عودة، وفي هذه اللحظة بالذات فكرت في مستقبلي، فكرت فيما بعد الهرب، فكرت في الهاربين من سجن 'إل تشابو' المكسيكي، فكرت في جميع الأحرار والمساجين، كانت تلك اللحظة أصعب لحظة في حياتي، وكان ذلك أصعب قرار يجب أن أتخذه في حياتي، سأهرب الآن ولكن . . . إن هربت سأكون هاربة طوال عمري ولن أشعر بالاستقرار أبدًا!

"اذهبي إلى الحرية ماريكروس، شكرًا على كل شي" قلت ذلك لماريكروس وقد أغلقت النافذة في وسط ذهولها وعدم تصديقها، قلت لها ذلك وعيناي قد أغروقتا بالدموع، وماهي إلا لحظات وأنا لا أرى إلا أضواء السيارة تبتعد في ظلام الليل الحالك.

50

في صباح اليوم التالي جاء فرناندو إلى الغرفة وظل صامتًا إلى أن بـدأت أنا الكلام : "فرناندو، أنا آسفة"

قال فرناندو : "لا عليك"

"فرناندو، لم أستطع الهرب فكنت خائفة من الوقوع في ورطة أكـبر، وكنت خائفة من أن تتورط أنت بسببي وآسـفة لأنـني جعلتـك تـدفع الما . . . " قاطعني فرناندو وهـو يقـول : "لا بـأس كرسـتن، قلـت لا عليك"

كان ذلك اليوم هو آخر يوم في المستشفى، وسأذهب إلى السجن مجـدداً وفي نيتي نية جديدة كليًـا، فقـررت أن أبـدأ حيـاة جديـدة، فاشـترى فرناندو لي مجموعـة مـن الكتـب لأقرأهـا في وقـت الفـراغ الكـبير في السجن، وكان من ضمنها كتاب لتعلم الإسبانية، لم أفكر قط بـتعلم لغة جديدة ولكن الأمر يستحق التجربة .

فرناندو قدم لي كل ما أحتاجـه ولا أحتاجـه، اشـترى لـي الملابـس، مـلاءات السـرير، منتجـات نظافـة، وحـذرني مـن الاقـتراب مـن الهيروين، فقال لي إنه يعمل على قضيتي ويأمل بأن يخرجني مـن هنـا في أقرب وقت ممكن .

من الواضح بأنه قد أحبني ولكن بهذه السرعة؟ أعـني لابـد أن هنـاك سرًّا .

51

30 أبريل 2006

الأحد

بدأت حياتي الجديدة في السجن، أصبحت أقضي جل وقتي في غرفتي أقرأ الكتب وأتعلم الإسبانية، إلى أن تشجعت وأحضرت كتاب تعلم الإسبانية في الساحة، وبدأت القراءة والتكلم وحل التمارين في داخلي، إلى أن جاءت امرأة تريد أن تعرف ماذا أقرأ؛ فأجبتها على الفور بالإسبانية: "كتاب تعليم إسبانيا" ثم صححت لي وقالت: "كتاب لتعليم الإسبانية" ثم قلت لها هذه المرة بالإنجليزية: "اعذريني فأنا مبتدئة"، ثم ابتسمت المرأة وقالت: "على أي حال أدعى بيلار وأشعر بالسعادة لمشاهدة أحد يتعلم لغة أتقنها"، ثم جلست معي وتابعت معي الدراسة إلى أن جاءت صديقاتها الثلاث الأخريات، جلسنَ معي رغم أنهنَّ لم يتعرفنَ عليَّ ولكن على مايبدو على حسب فهمي أن بيلار قد عرفتهنَّ بي، أصبحن يتابعن الدراسة معي وبعد أن انتهيت من درس بدأنا نتحدث بالإسبانية وكانت لغتي ضعيفة وكذلك لهجتي، وكان هذا ما يثير ضحكهن فى كل مرة أحاول إتمام جملة، ومع ذلك لم يأخذنَ أي شيء بشكل جدي رغم أنني أظن أنهن يعرفنَ أنني أشكل خطرًا عليهنَّ بصفتي.. قاتلة.

***

مرت الأيام وقد أصبح من روتيني اليومي أن أتجمع مع صديقاتي الجدد لتعلم الإسبانية، كنا نضحك معًا، نتحدث معًا، وكان ذلك شعوراً قد أزال شعور اليأس من نفسي، فبمقارنة نفسي قبل دخولي المستشفى ومع الهيروين المتخزن في جسدي أختلف تمامًا عن نفسي بعد خروجي من المستشفى.

في أحد الأيام حضر فرناندو لزيارتي، وقد بشرني بأفضل خبر قد سمعته منذ أن دخلت هنا.. قال فرناندو بحماس: "كرستن.. ستخرجين من هنا بعد 4 سنوات!"

قلت وأنا مندهشة: "ماذا؟!" ثم سألت بحماس: "كيف؟!"

قال فرناندو بهمس: "أحيانًا الرشوة تكون مفيدة"

قلت باندهاش: "هل رشوت القاضي من أجلي؟!"

قال: "ليبقَ ذلك بيننا، هنا إن أردتِ العيش فيجب أن تحوزى المال"

قلت له: "فرناندو، لك فضل كبير عليّ، لا أدري ماذا أقول!"

أجابنى: "ولكن سأحاول أكثر لإخراجك قبل ذلك بالتأكيد"

"فرناندو، تحسنت أوضاعي كثيراً عندما رجعت إلى السجن مرة ثانية، الآن لا أحد يهتم بكرستن القاتلة بعد الآن، بل لدي صديقات إكوادوريات وأصبحن الآن يساعدنني في تعلم الإسبانية"

قال فرناندو وهو في قمة السعادة: "حقًا! هذا جيد! بل جيد جداً"

52

(هذا الفصل على لِسان فرناندو)

كلما زاد تعلق كرستن بي زاد خوفي من إخبارها بحقيقتي غير الحقيقية .

لتوضيح الأمر سأتكلم عن شركة الممنوعات والخدعة التي انطلت على كرستن . أولاً المقابلة التي أجريت لكرستن لقبولها للعمل كانت جزءًا من الخدعة ، المسئول عن المقابلة كذلك ، وصاحب المتجر كذلك ، المقابلة كانت اختباراً لكرستن إذا كانت صالحة للتهريب أم لا ، فإذا تم رفضها للعمل فقد تم قبولها في تهريب الممنوعات ، بعد ذلك يتم إرسال شخص قريب جداً من كرستن وهي لوسي التي كانت جزءًا من الخدعة التي تم تكليفها بإقناع كرستن بالتهريب نظراً لحالتها المادية السيئة ، ويؤسفني القول إن مارك أيضًا كان جزءًا من الخدعة فهو الذي كلفناه بإغلاق الأبواب في وجه كرستن لتشعر كم هي فقيرة وتحتاج إلى المال وتم إجراء اختبار لكرستن عن طريق رسالة مارك الذي أنهاها بـ " إلى اللقاء يا مهربة المخدرات " ، وبالطبع تلقى مارك نصيبه من المال وتلقت لوسي أيضًا نصيبها من المال عندما زارت بيغ بوس قبل الرحلة ، وهذا المال كان داخل الظرف الذي تساءلت

كرستن عنه، سافرت كرستن ولوسي إلى جامايكا وكان كارلوس أيضًا جزءاً من الخدعة، ثم هربت لوسي لتقوم باستدراج شخص آخر لتفعل به الأمر نفسه الذي حصل مع كرستن، وكان ذلك أيضًا بمثابة اختبار، ثم أحضر كارلوس كرستن معه إلى الشاطئ حيث تعرفت هناك على فرناندو وهو أنا، ثم التقت كرستن بآيمي وليلي للتعرف عليهما في الحواجز الأمنية في الإكوادور، ولكن كلتاهما كانت جزءاً من الخدعة أيضًاللوشي بكرستن والعائد من كل هذا التعقيد هو مكافأة الإبلاغ عن جريمة! فعند الإبلاغ عن جريمة تحصل على مكافأة مالية ولأن المكافأة المالية هنا ليست بسيطة فإنها مشروع ماكر وبسيط ولكن عائداته في الإكوادور ليست بسيطة، والآن يأتي دوري ولأنني أنا للأسف جزء من الخدعة وأعرف هذه الخطة تمامًا، دوري في هذه الخطة هو أن أكذب بمشاعري على كرستن وأبين من أفعالي بأنني أهتم بها وأحبها لتثق بي ثم نَهرب، وعندما تهرب سأهددها بأن أخبر الشرطة أو أن تفعل مثل ما تفعل لوسي (إقناع الآخرين بتهريب الهيروين). هذه هى الخباثة بأم عينها، ولكنني لم أستطع أن أزيف مشاعري تجاه كرستن أو أكذب عليها وللأسف قد وقعت في حب كرستن. . وعندما أردت أن نهرب من المستشفى لم تكن نيتي أبدًا

خبيثة، فكنت أريد أن أهرب معها إلى البيرو ونقضي حياتنا هناك، أعرف أن الرجوع إلى بريطانيا ليس الخيار الأمثل لأن مارك قام بفعل لئيم جداً وقاسٍ وهو أنه تزوج لوسي! لذا كنت طوال ذلك الوقت أفكر كيف يمكنني أن أخبرها بزواج مارك ولكنني قررت ألا أخبرها، ولكن بشأن حقيقتي وحقيقة شركة المخدرات فيجب أن تعرف تفاصيلها.

خدعة ماكرة وخبيثة ولكنها موضوعة على خطوات؛ لذا سأسمي الخدعة 'خطوات ماكرة'.

والآن هدفي هو إخراج كرستن بأقل مدة مطلوبة لنقضي حياتنا معًا، ولكن ستكون الفترة التي ستعرف فيها الحقيقة صعبة جداً وأنا أريد أن أجتازها بسرعة، ولكنني لا أعرف متى سيكون الوقت المناسب للحديث بكل ذلك لكرستين.

53

(هذا الفصل على لسان كرستن)

11 نوفمبر 2006

السبت

11 شهراً منذ دخولي السجن

عندما انتهيت من كتاب تعلم الإسبانية فرحت كثيراً وطلبت الاتصال بـ فرناندو لتبشيره بهذا الأمر، وقال لي إنه سيأتي لزيارتي اليوم، وفعلاً أتى وكان حوارنا كالتالي.

قلت لفرناندو بالإسبانية: "أشكرك فرناندو لأنك فتحت لي بابًا جديدًا وجعلتني أتقن لغة غريبة"

قال فرناندو: "أنتِ لم تتقني اللغة فحسب، بل أتقنتِ اللهجة أيضًا"

قلت: "أنا فعلاً سعيدة لذلك"

قال فرناندو بهدوء: "كرستن، أريد أن أصارحك بشيء"

نظرت مباشرة في عينيه وقلت بهدوء أيضا: "ما هو هذا الشيء؟"

(قال فرناندو حقيقة الخدعة دون ذكر أي تلميح لزواج مارك ولوسي)

عندما انتهى فرناندو من كلامه كنت لا أقوى على الحراك، بل كانت حواسي مشلولة تمامًا، كنت أفكر في نفسي هل يعقل أنني صدقت أن الممنوعات ستجعلني غنية! بل جعلتني ساذجة وبلهاء، وحتى من ظننته أقرب الناس إلى قلبي كان جزءًا من الخدعة! والآن كيف سيكون لي القدرة على الثقة بالناس! كيف سأثق بـ "فرناندو" مرة أخرى؟

ولوسي الخائنة! مارك الخائن! خونة فى كل مكان، وبينما كنت أفكر قال فرناندو وهو يبدو آسفًا: "كرستن.. كنت متردداً فى إخبارك بكل هذا ولكن ضميري يؤنبني كل ليلة أمضيها دون التفكير بك والتفكير بهذه الخدعة"

وقفت وهممت بالمغادرة دون أن أنبس ببنت شفة ثم وقف فرناندو وهو يقول: "لو كنت ما زلت أخدعك لو لم أفعل كل ذلك لك يا كرستن، حسنًا سأقول كل ما في قلبي.. حسنًا؟"

"قل يا فرناندو، ولكنني لن أستطيع أن أمنحك أي ثقة أخرى"

"كرستن، هل تتزوجينني؟"

قلبت وجهي قائلة: "ماذا؟ ماذا تقول؟ وماهذه اللعبة؟"، ثم

أكملت : "فرناندو . . لقد خدعتني والآن تطلب الزواج مني؟ ! "

"الإنسان يحصل على فرصة ثانية . . أليس كذلك؟ "

"ولكن فرناندو، لا أعلم . . لقد فاجئتني ! "

"بعد خروجك من السجن نستطيع أن نذهب إلى البيرو وننسى أمر بريطانيا أو الإكوادور ونقوم بإكمال حياتنا هناك، هذه أمنيتي، وأنتِ؟ "

" أمنيتي . . . " توقفت قليلاً عندما رأيت فرناندو يفتح العلبة الكحلية الصغيرة وإذا بخاتم مرصع بماسة في الوسط لامع حتى مع الإنارة الخافتة في غرفة الزيارات : "فرناندو . . أنت جاد؟ ! أكاد لا أصدق ذلك" ثم قلت : "نعم فرناندو، نعم أوافق ! "

ابتسم فرناندو ثم قال : "تحققت أولى أماني حياتي"

***

لم أكن مصدومة بقدر ما كنت مندهشة بقدر ما كنت سعيدة!

ولكن ما زلت أشعر بالأسى لفرناندو لربط سعادته بامرأة مسجونة، ولكنني كنت مستعدة تمامًا لحياتي الجديدة مع فرناندو، لأن حياة جميلة

تنتظرني في الخارج، رغم حظي البائس، ورغم فقداني البصر بعيني اليسرى عرفت أنني أكثر حظًا من صديقاتي الإكوادوريات اللاتي من بينهن بيلار، فسردن لي قصصهن وسردت لهن قصتي، منهن من سُجنت سجنًا مؤبدًا ومنهن من سُجنت ظلمًا ومنهن من لها أطفال.

***

بعد عامين من دخولي السجن كنت قد تغيرت تمامًا، فتعلمت اللغة البرتغالية لوجود عدد كبير من متحدثي البرتغالية في السجن قادمين من البرازيل، وفي المقابل علمت ناطقي الإسبانية اللغة الإنجليزية وكان أمر اللغات قد جعلني أكسب صداقات ومحبة ووّد بعض السجينات.

54

11 يناير 2008

الجمعة

بعد مرور 3 سنوات على دخولي السجن

جاء ذلك اليوم العظيم على نحو مفاجئ! جاء ذلك اليوم الذي أخرج فيه من السجن! جاء يوم الحرية الذي بشرني به فرناندو عندما جاء لزيارتي قبيل ذلك اليوم بيوم، وأخبرني بأنه سيتم إطلاق سراح مشروط وهذا يعني أنني سأخرج من السجن ولكنني لا أستطيع الخروج من الإكوادور في يوم إخراجي من السجن بعد 3 سنوات من الحجز، ودعت صديقاتي في السجن وتعجبت عندما رأيت بيلار تبكي وتبعها الجميع بالبكاء! ثم ذهبت لاحتضانهن ووعدتهن بأن آتي لزيارتهن بين الفترة والأخرى، ثم خرجت من الباب الكبير المرعب وتذكرت رد فعلي عندما رأيته وضحكت في داخلي، ثم شعرت بإحساس غريب، وكأنني أستنشق هواءً طبيعيًّا قادمًا طازجًا من النباتات، رأيت فرناندو على الجهة الأخرى من الشارع مع سيارته، ذهبت إليه لأفاجأ بأمي وأبي داخل السيارة وعانقتهما طويلاً، ثم

بدأت بالبكاء بدون أي تحكم في مشاعري، وبـدون حتـى أن نـتكلم، كانت المشاعر هي دورها أن تتكلم في تلك اللحظات وبعد أن انتهيـت كنت في قمة السعادة، فاصطحبنا فرناندو إلى مكان لنأكل فيه احتفـالاً بخروجي من السجن بالسلامة. سأحتاج فترة من الوقت لأعتـاد علـى هذه الحياة الطبيعية للأحرار، وسأحتاج فترة مـن الوقـت للتـأقلم مـع الناس في هذا المكان، ولكن بالطبع لا مانع لديَّ، فـ "فرناندو" معـي وهذا ما يهمني إلى هذا اليوم.

55

30 مايو 2009

السبت

بعد مرور سنة

تزوجنا أنا وفرناندو ورزقت بمولودتي الأولى في البيرو حيث نعيش، وفي أحد الأيام قررنا أنا وفرناندو أن نرجع إلى الإكوادور لنزور صديقتي بيلار وصديقاتي الأخريات في السجن، لم يمانعوا في السجن من ذلك وعندما قابلتهن تعجبن كثيراً وكدن ألا يصدقن، سلمت عليهن وقلت لهنَّ إنني قد وعدتكنَّ بهذا الأمر مسبقًا وطلبن مني أن آتي لهنَّ بشكل دوري.

وعندما خطرت كلوي في بالي، وبما أننا في الإكوادور طلبت من فرناندو أن نذهب إلى مركز شرطة ونسألهم عنها، وكانت المفاجأة السيئة أن كلوي قد ماتت منتحرة جراء التعذيب النفسي في الحبس الانفرادي في سجن آخر في الإكوادور في نفس السنة التي تشاجرت فيها مع العصابة الحمراء.

لقد حزنت كثيراً لأجلها، ولم أتوقع أنها ستستسلم للسجن بهذه

السرعة . . كانت إنسانة قوية الشخصية واثقة من نفسها، ولكن السجن الانفرادي أكثر مكان يؤدي إلى الجنون والاضطراب النفسي في العالم .

ولكنَّ خبراً آخر قد غيَّر نفسيتي إلى الأفضل، فعندما عدنا مجدداً إلى البيرو عرفنا أنه تم إلقاء القبض على مارك، ولوسي، وبيغ بوس وكارلوس بتهمة الاتجار بالممنوعات ولكن في واحد من أسوأ الأماكن التي تسجن فيها : كولومبيا، فالجرائم هناك تنتشر بشكل كبير، قتل، سرقة، اعتداء، عصابات . .

والآن جميع الخطوات الماكرة التي تم تنفيذها عليّ سترتد إليهم، وأعتقد أن هذا ما يسمى بالـ كارما عند الديانات الهندية .

وفي أثناء كتابتي لقصتي هذه، أنا في حديقة منزلي الخلفية وأرى طفلتي تلعب مع أبيها فرناندو والآن سأذهب لزراعة الأزهار في الحديقة .

هنا تذكرت لوسي عندما أخبرتني بأن أهرب الممنوعات من أجل الحصول على المال وزراعة الأزهار في حديقة المنزل الخلفية، وكنت أتذكر تماماً رد فعلي تجاه ذلك : ‘هل أهرب الممنوعات من أجل زراعة الأزهار في الحديقة؟!’

ولكن فعلاً هل يستحق؟

ولكن بالنسبة لي ولكل ما حدث، نعم يستحق.

الحياة بعد الموت هي معجزة ويتفق الناس على ذلك. كرستن نجت بأعجوبة بعد خوضها هذه التجربة القاسية والمرّة في حياتها وكانت إما أن تموت لا محالة وإما أن تنقل إلى مستشفى الأمراض النفسية ولولّا فرناندو لانتهت هذه القصة بنهاية مروّعة.

كلنا في حياتنا سنصادف أشخاصًا مثل لوسي، مارك، ربما ستقابل بيغ بوس نفسه أو كارلوس! ولكن إن سايرتهم، هل ستقابل كلوي أو فرناندو ويبقون معك حتى نهاية الطريق؟

تمت